تاج العروس
الحاوى لتهذيب النفوس

للعارف بالله الإمام ابن عطاء الله السكندرى

تحقيق وضبط

المستشار/ توفيق على وهبة

يوزع مجاناً

تبدأ دعوات الإصلاح بروح صوفية تدعو إلى تزكية

النفس وتطهيرها والتصدي للفساد والانحراف

وحينما تختلط بالدنيا وتبدأ الغنائم

لا يلبث القائمون عليها في استغلال الدعوة

لتبرير استئثارهم بالسلطة ونفيهم للآخر

وشعارهم هو من ليس معنا فهو علينا

وبالتالي فهو كافر ومشرك

ومستباح المال والعرض والدم



مقدمة التحقيق

الحمد لله العلى الوهاب، رافع السموات وباسط الأرض، ومنزل الكتاب.

نحمده سبحانه وتعالى حمد الشاكرين ونشهد بوحدانيته، شهادة الموقنين.

أمر الخلق بعبادته، وإذا دهمهم أمر، أو نزل بهم كرب دعوه فاستجاب لهم، ورفع عنهم ما هم فيه، ودفع عنهم كربهم.

قال تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]. وندب إلى التوبة والاستغفار فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2].

وقال على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾[3].

فقد جعل الله سبحانه وتعالى كل تلك المغانم والخيرات جزاء الاستغفار.

ونصلى ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع دعوته، واهتدى بهديه إلى يوم الدين، القائل: «إنى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة» وقال: «توبوا إلى الله فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة».

فالتوبة والاستغفار تجلبان للمسلم خيراً كثيراً وتقربانه من مقام ربه، وتفتحان له أبواب القبول.

وإن أقطاب الصوفية العارفين بالله، صنفوا كتبا ورسائل تعتبر درراً فى مجال الدعوة إلى الله، وفى تربية المريدين والأخذ بأيديهم إلى طريق الوصول. وتشرح لهم مقامات وأحوال أهل الطريق.

---

(1) سورة البقرة: آية رقم: 186.

(2) سورة البقرة: آية رقم: 222.

(3) سورة نوح: آية رقم: 10، 11، 12.

ومن الكتب الهامة والمتميزة فى هذا المجال كتاب: تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس للعارف بالله الإمام ابن عطاء الله السكندرى.

وكما يقال: فإن الكتاب يقرأ من عنوانه. فهذا كتاب إرشاد وتهذيب أراد مؤلفه رحمه الله تعالى أن يرسم به طريقاً للمريدين للوصول إلى رب العالمين. وهو يكثر من طلب التوبة والاستغفار ومحاربة أدران النفس ومعالجة أمراض القلوب.

ومما يميز هذا الكتاب خلوه من الشطحات، وليس به ما يخالف الكتاب والسنة.

ونحن فى كل ما نحقق من كتب التصوف نشير إلى أن ما وافق الكتاب والسنة نأخذ به، وما خالفهما تركناه.

وندعو السادة العلماء والمفكرين ومشايخ الطرق الصوفية وعموم أهل الطريق، وعامة المسلمين أن يجعلوا ذلك نصب أعينهم فى كل ما يكتب أو ينشر أويذاع.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحقق

المستشار / توفيق على وهبة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا كتاب (تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس) تأليف الشيخ الإمام الجامع بين علمى الشريعة والحقيقة تاج الدين أبى العباس أحمد بن عطاء الله السكندرى رحمه الله تعالى وأسكنه بحبوحة جنته، و أفاض علينا وعلى المسلمين من بركته.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وصحابته آمين.

التوبة

أيها العبد اطلب التوبة من الله فى كل وقت. فإن الله تعالى قد ندبك إليها فقال تعالى: ﴿ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنى ليغان على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة»[3].

فإن أردت التوبة فينبغى لك ألا تخلو من التفكير طول عمرك فتفكر فيما صنعت فى نهارك.

فإن وجدت طاعة فاشكر الله عليها، وإن وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك واستغفر الله وتب إليه فإنه لا مجلس مع الله أنفع لك من مجلس توبخ فيه نفسك.

ولا توبخها وأنت ضاحك فرح بل وبخها وأنت مجد صادق مظهر العبوسة حزين القلب منكسر ذليل.

فإن فعلت ذلك أبدلك الله بالحزن فرحاً وبالذل عزاً وبالظلمة نوراً وبالحجاب كشفاً.

وعن الشيخ مكين الدين الأسمر رحمه الله تعالى وكان من السبعة الأبدال قال: كنت فى ابتداء أمرى أخيط وأتقوت من ذلك وكنت أعد كلامى بالنهار فإذا جاء المساء حاسبت نفسى، فأجد كلامى قليلاً.

فما وجدت فيه من خير حمدت الله وشكرته عليه وما وجدت فيه من غير ذلك تبت إلى الله واستغفرته. إلى أن صار بدلا رضى الله عنه.

---

(1) سورة النور: آية رقم: 31.
(2) سورة البقرة: آية رقم: 222.
(3) رواه مسلم.

واعلم أنه إذا كان وكيل يحاسب نفسه ويحققها فأنت لا تحاسبه لمحاسبته نفسه، وإن كان وكيلاً غير محاقق لنفسه فأنت تحاسبه وتحققه وتبالغ فى محاسبته.

فعلى هذا ينبغى لك أن يكون عملك كله لله تعالى ولا ترى أنك تفعل فعلاً والله تعالى لا يحاسبك ولا يحاققك.

وإذا وقع من العبد ذنب وقع معه ظلمة، فمثال المعصية كالنار والظلمة دخانها، كمن أوقد فى بيت سبعين سنة ألا تراه يسود، كذلك القلب يسود بالمعصية، فلا يطهر إلا بالتوبة إلى الله.

فصار الذل والظلمة والحجاب مقارنة للمعصية فإذ تبت إلى الله زالت آثار الذنوب، ولا يدخل عليك الإهمال عن متابعة النبى صلى الله عليه وسلم، ولا تحصل لك الرفعة عند الله تعالى إلا بمتابعة النبى صلى الله عليه وسلم.

والمتابعة له عليه الصلاة والسلام على قسمين:

جلية وخفية.

فالجلية: كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وغير ذلك.

والخفية: أن تعتقد الجمع فى صلاتك والتدبير فى قراءاتك فإذا فعلت الطاعة كالصلاة والقراءة ولم تجد فيها جمعاً ولا تدبرا فاعلم أن بك مرضاً باطناً من كبر أو عجب أو غير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1]. فيكون مثالك كالمحموم الذى يجد فى قمع السكر مراً فالمعصية مع الذل والافتقار خير من الطاعة مع العز والاستكبار.

قال تعالى: حكاية عن الخليل عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم السلام ﴿ مَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[2].

فمفهوم هذا أن من لم يتبعه ليس منه:

---

(1) سورة الأعراف: آية رقم: 146.

(2)سورة إبراهيم: آية رقم: 36.

وقال تعالى: حكاية عن نوح عليه وعلى نبينا المصطفى أزكى الصلاة والسلام: ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾[1] فأجابه سبحانه بقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[2].

فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع وإن كان أجنبياً كسلمان الفارسى رضى الله عنه، لقوله صلى الله عليه وسلم (سلمان منا أهل البيت):

ومعلوم أن سلمان من أهل فارس ولكن بالمتابعة قال عنه صلى الله عليه وسلم تعليماً:

فكما أن المتابعة تثبت الاتصال كذلك عدمها يثبت الانفصال وقد جمع الله الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه متابعة النبى صلى الله عليه وسلم فتابعه بالقناعة بما رزقك الله تعالى والزهد و التقلل من الدنيا وترك ما لا يغنى من قول وفعل فمن فتح له باب المتابعة فذلك دليل على محبة الله له.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[3] الآية.

وإذا طلبت الخير كله فقل: اللهم إنى أسألك المتابعة لرسولك صلى الله عليه وسلم فى الأقوال والأفعال ومن أراد ذلك فعليه بعدم الظلم لعباد الله فى أعراضهم وأنسابهم.

فلو سلموا من ظلم بعضهم بعضاً لانطلقوا إلى الله، ولكنهم معوقون كالمدى تصيب من يطلبها.

واعلم أنك لو كنت مخصصاً عند الملك مقرباً منه وجاء من يطلبك بدين ضيق عليك ولو كان قدراً يسيراً، فكيف بك إذا جئت يوم القيامة ومائة ألف إنسان أو أكثر يطلبونك بديون مختلفة من أخذ مال وقذف عرض وغير ذلك؟.

---

(1) سورة هود: آية رقم: 45.
(2) سورة هود : آية رقم: 46.
(3) سورة آل عمران: آية رقم: 31.

فكيف يكون حالك المصاب حقاً ممن محقته الذنوب والشهوات حتى جهلته كالشن البالى، هذا هو المنكوب المعزى، ذهبت مآكله وشهواته ملأ بها المرحاض وأرضى بها زوجته، ويا ليتها كانت من حلال.

فأول المقامات التوبة، ولا يقبل ما بعدها إلا بها، مثال العبد إذا فعل المعصية كالقدر الجديد توقد تحتها النار ساعة فتسود، فإن بادرت إلى غسلها انغسلت من ذلك السواد وإن تركتها وطبخت فيها مرة بعد مرة ثبت السواد فيها حتى تكسر ولا يفيد غسلها شيئاً.

فالتوبة هى التى تغسل سواد القلب فتبرز الأعمال وعليها رائحة القبول.

فاطلب من الله تعالى التوبة دائماً فإن ظفرت بها فقد طاب وقتك لأنها موهبة من الله يضعها حيث شاء من عباده، وقد يظفر بها العبد المشقق الأكعاب دون سيده، وقد تظفر بها المرأة دون زوجها، والشاب دون الشيخ.

فإن ظفرت بها فقد أحبك الله لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1].

وإنما يغتبط بالشيء من يعرف قدره، ولو بذرت الياقوت بين الدواب لكان الشعير أحب إليها، فانظر من أى الفريقين أنت، إن تبت فأنت من المحبوبين، وإن لم تتب فأنت من الظالمين.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2]. من تاب ظفر ومن لم يتب خسر ولا تقطع يأسك وتقول كم أتوب وأنقض فالمريض يرجو الحياة ما دامت فيه الروح.

وإذا تاب العبد فرحت به داره من الجنة وتفرح به السماء والأرض، والرسول صلى الله عليه وسلم، فالحق سبحانه لم يرض أن تكون محباً بل محبوباً.

---

(1) سورة البقرة: آية رقم: 222.

(2) سورة الحجرات آية رقم: 11.

وأين المحبوب من المحب؟ أف لعبد يعلم إحسان المحسن فيجترئ على معصيته ولكن ما عرف إحسانه من آثر عصيانه، وما عرف قدره من لم يراقبه، ومارجا من اشتعل بغيره، فعلم أن النفس تدعوه إلى الهلكة فتبعها، وعلم أن القلب يدعوه إلى الرشد فعصاه وعلم قدر المعصى فواجهه بالمعصية.

ولو علم اتصافه بعظمته لما قابله بوجود معصيته. وعلم قرب مولاه وإنه يراه فسارع لما عنده نهاه، وعلم أثر الذنب المرتب عليه دنيا وأخرى وغيباً وشهادة فما استحيا من ربه، ولو علم أنه فى قبضته لما قابله بمخالفته.

وأعلم أن المعصية تتضمن نقض العهد وتعليل عقد الود والإيثار على المولى، والطاعة للهوى، وخلع جلباب الحياء، والمبادرة لله بما لا يرضى مع ما فى ذلك من الآثار الظاهرة من ظهور الكدورة فى الأعضاء، والجمود فى العين، والكسل فى الخدمة، وترك الحفظ للحرمة، وظهور كسب الشهوات، وذهاب بهجة الطاعات.

وأما الآثار الباطنة فكالقساوة فى القلب، ومعاندة النفس، وضيق الصدر بالشهوات، وفقدان حلاوة الطاعات، وترادف الأغيار المانعة من بروق شوارق الأنوار، واستيلاء دولة الهوى، إلى غير ذلك من ترادف الارتياب ونسيان المآب وطول الحساب.

ولو لم يكن فى المعصية إلا تبدل الاسم لكان كافياً، فإنك إذا كنت طائعاً تسمى بالمحسن، وإذا كنت عاصياً انتقل اسمك إلى المسىء المعرض، هذا فى انتقال الاسم.

فكيف بانتقال الأثر من تبدل حلاوة الطاعة لحلاوة المعصية، ولذاذة الخدمة بلذاذة الشهوة، وهذا فى تبدل الأثر، فكيف بتبدل الوصف، بعد أن كنت موصوفاً عند الله بمحاسن الصفات فيعكس الأمر فتتصف بمساوئ الحالات.

هذا فى تبدل الوصف، فكيف بتبدل المرتبة، فبعد أن كنت عند الله من الصالحين صرت عنده من المفسدين، وبعد أن كنت عنده من المتقين صرت عنده من الخائنين.

فإن كانت الذنوب متفتحة فى وجهك فاستغث بالله والجأ إليه، واحث التراب على رأسك، وقل اللهم انقلنى من ذل المعصية إلى عز الطاعة وزر ضرائح الأولياء والصالحين[1]. وقل يا أرحم الراحمين.

أتريد أن تجاهد نفسك وأنت تقويها بالشهوات حتى تغلبك وإلا فقد جهلت، فالقلب شجرة تسقى بماء الطاعة وثمراتها مواجيدها، فالعين ثمرتها الاعتبار، والأذن ثمرتها الاستماع للقرآن، واللسان ثمرته الذكر، واليدان والرجلان ثمرتهما السعى فى الخيرات.

فإذا جف القلب سقطت ثمراته، فإن أجدب فأكثر من الأذكار ولاتكن كالعليل يقول لا أدرى حتى أجد الشفاء فيقال له لا تجد الشفاء حتى تتداوى، فالجهاد ليس معه حلاوة وما معه إلا رءوس الأسنة.

فجاهد نفسك هذا هو الجهاد الأكبر واعلم أن الثكلى لا عيد لها بل العيد لمن قهر نفسه ولا عيد إلا لمن جمع شمله.

جاز بعضهم على دير راهب فقال له: يا راهب متى عيد هؤلاء القوم، قال يوم يغفر لهم، ما مثالك مع نفسك إلا كمن وجد زوجته فى حانة خمار، فأتاها بالملابس الحسنة والمآكل الطيبة، وإذا تركت الصلاة أصبحت تطعمها الهرائس والألوان.

(بقى بعضهم) أربعين سنة لا يحضر الجماعة لما يشم من نتن قلوب الغافلين[2] فما أعرفك بمصالح الدنيا وما أجهلك بمصالح آخرتك.

---

(1) ليس هناك دليل على ذلك، بل الدليل هو زيارة القبور بصفة عامة للموعظة لقوله صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها تذكر بالآخرة) ونرى أن المؤلف يعنى الزيارة الشرعية.

(2) ليس ذلك سبباً للتخلف عن الصلاة، فإذا كان الصالحون يفعلون ذلك فما بالك بالعامة، إنهم قدوتهم، ويجب أن يكونوا قدوة حسنة، والأجدى أن يدعو الله أن يرفع عنهم الغفلة.

مثال الدنيا عندك كمن خرج إلى الضيعة واجتهد فخزن الأقوات، فقد أوتيت بما يعود نفعه عليك فى وقته.

وأنت خزنت حيات الشهوات وعقارب المعصية فهلكت، كفى بك جهلاً أن الناس يخزنون الأقوات وقت حاجتهم إليها وأنت تخزن ما يضرك وهى المعاصى.

هل رأيت من يأتى بحيات فيربيها فى داره فها أنت تفعل ذلك، وأضر ما يخاف عليك محقرات الذنوب.

لأن الكبائر ربما استعظمتها فتبت منها، واستحقرت الصغائر فلم تتب منها، فمثالك كمن وجد أسداً فخلصه الله منه، فوجد بعده خمسين ذئباً فغلبوه قال الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[1].

والكبيرة حقيرة فى كرم الله فإذا أصررت على الصغيرة صارت كبيرة، لأن السم يقتل مع صغره كالشرارة من النار، والشرارة قد تحرق بلدة، من أنفق عافيته وصحته فى معصية الله فمثاله كمن خلف له أبوه ألف دينار فاشترى بها حيات وعقارب، وجعلها حوله تلدغه هذه مرة، وتلسعه هذه أخرى أفما تقتله، وأنت تمحق الساعات فى مخالفته، فما مثالك إلا كالحدأة تطوف على الجيفة حيث ما وجدتها انحطت عليها.

فكن كالنحلة صغيراً جرمها عظيمة همتها، تجنى طيباً وتضع طيباً،طالما تمرغت فى مواطن المحن فتمرغ فى محاب الله عز وجل.

فهذه الحقيقة تبين طريقة، ولكن من أماتته الغفلة لم ترده النكبات، لأن المرأة الناقصة العقل يموت ولدها وهى تضحك، فكذلك أنت تنكب عن قيام الليل وعن صيام النهار وفى جميع جوارحك ولم تتألم.

وما ذلك إلا لأن الغفلة قد أماتت قلبك، لأن الحى يؤلمه وخز الإبر، ولو قطع الميت بالسيف لم يتألم فأنت حينئذ ميت القلب.

---

(1) سورة النور: آية رقم: 15.

فاجلس مجلس الحكمة فإن فيه نفحة من نفحات الجنة، تجدها فى طريقك وفى دارك وفى بيتك، فلا يفتك المجلس[1]. ولو كنت على معصية فلا تقل ما الفائدة فى حضور المجلس وأنا أعصى ولا أقدر على ترك المعصية بل على الرامى أن يرمى فإن لم يأخذ اليوم فسيأخذ غدا.

اعلم يا هذا: إياك والمعصيـــة فقد تكـــون سبباً لتوقف الرزق فاطلب من الله التـــوبة قبلـــت وإلا فاستغـــث بالله وقل:﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2]. ولا تكن كمن أتى عليه أربعون سنة ولم يقرع باب الله قط وأكثر ما يخاف عليك سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى بسبب إطفاء جمرة الإيمان بسواد العصيان، وهى الذنب على الذنب حتى يسود القلب من غير توبة.

إياك: أن تتهاون فى أعمالك وتختار الطيبات لمرحاضك، وأحذر نفسك التى بين جنبيك فهى التى تحطب عليك لا تفارق صاحبها إلى الممات، والشيطان يفارق فى رمضان لأنه تغل فيه الشياطين.

وربما تجد من يقتل فيه و يسرق، فهذا من النفس، فإذا مالت إلى المعصية فذكرها بعذاب الله والقطعة عن الله بسببه، والعسل المسموم يترك مع العلم بحلاوته لما فيه من وجود الأذى، لقوله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا حلوة خضرة»[3].

ويروى أيضاً «جيفة قذرة» حلوة خضرة عند أهل الغفلة، وجيفة قذرة عند العقلاء، حلوة خضرة عند النفوس، جيفة عند مرائى القلوب، حلوة خضرة للتحذير، وجيفة قذرة للتنفير.

فلا تخدعنكم بحلاوتها فإن عاقبتها مرة.

---

(1) أى مجلس العلم.
(2) سورة الأعراف: آية رقم 23.
(3) رواه مسلم .

إذا قيل لك من المؤمن فقل الذى اطلع على عيب نفسه ولم ينسب أحدا من العباد إلى عيب.

وإذا قيل لك من المخذول فقل الذى ينسب العباد إلى العيب ويبرئ نفسه منه.

وما تمادى عليه أهل الزمان، مباسطتهم ومؤانستهم للعاصين، ولو أنهم عبسوا فى وجوههم لكان ذلك زاجراً لهم عن المعصية.

لو فتح لك باب الكمال لما رجعت إلى الرذائل، أرأيت من فتح له باب القصور هل يرجع إلى المزابل لو فتح لك باب الأنس بينك وبينه ما طلبت من تأنس به.

لو اختارك لربوبيته ما قطعك عنه لو كرمت عليه ما رماك لغيره،إذا عزل عنك محبة مخلوق فافرح فهذا من عنايته بك، ولا يكون معصية إلا والذل معها، افتعصيه ويعزك كلا.

فقد ربط العز مع الطاعة، والذل مع المعصية، فصار فى طاعته نور وعز وكشف حجاب، وضدها معصية وظلمة وذل وحجاب بينك وبينه، ولكن ما منعك من الشهود إلا عدم وقوفك مع الحدود واشتغالك بهذا الوجود.

إذا عصى ولدك فأدبه بالشرع ولا تقطعه بل قابله بالعبوسة ليكف عن المعصية، وأكثر ما يدخل على المؤمن الدخل إذا كان عاصياً، فإما أن يفضحوه وإما أن يستهزئوا به، فإذا فعلوا ذلك فقد أخطئوا الطريق.

إذا عصى المؤمن فقد وقع فى ورطة عظيمة. وطريقه أن تفعل معه كما فعلت مع ولدك عند عصيانه، تعرض عنه فى الظاهر وتكون له راحماً فى الباطن، وتطلب له الدعاء بالغيب.

كفى بك جهلاً أن تحسد أهل الدنيا على ما أعطوا وتشغل قلبك بما عندهم، فتكون أجهل منهم، لأنهم اشتغلوا بما أعطوا واشتغلت أنت بما لم تعط، ترمد

عينك فتعالجها حتى لا يفوتك النظر إلى مستحسناتها، وترمد بصيرتك أربعين سنة فلا تعالجها.

اعلم أن عمراً ضيع أوله حرى أن تحفظ آخره، كامرأة كان لها عشرة أولاد مات منهم تسعة وبقى واحد أليست ترد وجدها على ذلك الواحد.

وأنت قد ضيعت أكثر عمرك فاحفظ بقيته وهى صبابة يسيرة، والله ما عمرك من أول يوم ولدت بل عمرك من أول يوم عرفت الله تعالى.

شتان بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، فأهل السعادة إذا رأوا إنساناً على معصية أنكروا عليه فى الظاهر ودعوا له فى الباطن، وأهل الشقاوة ينكرون عليه تشفياً فيه وربما ثلموا عليه عرضه.

فالمؤمن من كان ناصحاً لأخيه فى الخلوة، ساتراً له فى الجلوة، وأهل الشقاوة بالعكس إذا رأوا إنساناً على معصية أغلقوا عليه الباب وفضحوه فيها.

فهؤلاء لا تنور بصائرهم وهم عند الله مبعدون.

وإذا أردت أن تختبر عقل الرجل فانظر إليه إذا ذكرت له شخصاً فإن وجدته يطوف على محل سوء حتى يقول لك خلنا منه ذاك فعل كذا وكذا فاعلم أن باطنه خراب وليس له معرفة.

وإذا رأيته يذكره بخير، ويذكر له ما يوصف بالذم ويحمله على محمل حسن، ويقول لعله سها أوله عذر أو ما أشبه ذلك، فاعلم أن باطنه معمور، فإن المؤمن يعمل على سلامة عرض أخيه المسلم.

من قارب فراغ عمره ويريد أن يستدرك ما فاته فيذكر بالأذكار الجامعة، فإنه إذا فعل ذلك صار العمر القصير طويلاً كقوله: «سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»[1].

---

(1) رواه مسلم.

وكذلك من فاته كثرة الصيام والقيام أن يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنك لو فعلت فى جميع عمرك كل طاعة، ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملته فى عمرك كله من جميع الطاعات، لأنك تصلى على قدر وسعك وهو يصلى حسب ربوبيته، هذا إذا كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلى عليك عشراً، بكل صلاة كما جاء فى الحديث الصحيح.

فما أحسن العيش إذا أطعت الله فيه بذكر الله تعالى و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يروى أنه ما من صيد يصاد ولا شجرة تقطع إلا بغفلتها عن ذكر الله تعالى، لأن السارق لا يسرق بيتاً وأهله أيقاظ، بل على غفلة أو نوم.

من علم قرب رحيله أسرع فى تحصيل الزاد، ومن علم أن إحسان غيره لا ينفعه جد فى الإحسان، ومن أخرج ولم يحسب خسر ولم يدر، ومن وكل وكيلاً واطلع على خيانته عزله.

كذلك نفسك قد اطلعت على خيانتها فاعزلها، وضيق عليها المسالك، إذا رأيت فيك الإعراض والشهوة والغفلة فهذا وصفك.

وإذا رأيت فيك الإنابة والخشية والزهد فهذا من صنائع الله. مثال ذلك إذا رأيت ببلدك الحلفاء والشوك والعوسج فهذا نبات أرض بلدك، وإذا رأيت بها العود الرطب والمسك والعنبر فاعلم أنه مجلوب من صنائع الله ليس من نبات أرضك فالمسك من غزلان عراقها والعنبر من بحر هندها.

مثل الإيمان منك إذ عصيت الله فأنت كالشمس المكسوفة، أو كالسراج إذا غطيته بصحفه هو موجود ولكن يمنع نوره الغطاء، ثم إنك تحضر المجلس فى الجامع ليتوفر عقلك.

وإن كان عمرك قليلاً يصير كثيراً لحصول الإيمان والخشوع والخشية والتدبر والتذكر ونحوها، فلو عرفت الإيمان ما قربت العصيان.

فلا غريم أمطل من النفس، ولا عدو أعظم من الشيطان، ولا معارض أقوى من الهوى، ولا يدفع المدد الهابط مثل الكبر، لأن الغيث لا يقر إلا على الأرض المنخفضة لا فوق رؤس الجبال.

فكذلك قلوب المتكبرين تنتقل عنها الرحمة وتنزل إلى قلوب المتواضعين، والمراد بالمتكبرين من يرد الحق لا من يكون ثوبه حسناً، ولكن الكبر بطر الحق يعنى دفعه واحتقار الناس.

ولا تعتقد أن الكبر لا يكون إلا فى وزير أو صاحب دنيا بل قد يكون فيمن لا يملك عشاء ليلة وهو يفسد ولا يصلح، لأنه تكبر على خلق الله تعالى، ولا تعتقد أن المنكوب من كان فى الأسر فى السجن، بل المنكوب من عصى الله وأدخل فى هذه المملكة الطاهرة نجاسة المعصية.

كثير من أنفق الدنانير والدراهم ولكن من أنفق الروح قليل.

الأحمق من مات ولده وجعل يبكى عليه، ولا يبكى على ما فاته من الله عز وجل، فكأنه يقول بلسان حاله أنا أبكى على ما كان يشغلنى عن ربى، بل كان ينبغى له الفرح بذلك ويقبل على مولاه لأنه أخذ منه ما كان يشغله عنه.

وقبيح بك أن تشيب وأنت طفل العقل صغيره ولا تفهم مراد الله منك، فإن كنت عاقلاً فابك على نفسك قبل أن يبكى عليك فإن الولد والزوجة والخادم والصديق لا يبكون عليك إذا مت بل يبكون على ما فاتهم منك.

فسابقهم أنت بالبكاء وقل يحق لى أن أبكى على فوات حظى من ربى قبل أن يبكوا عليك.

كفى بك جهلاً أن يعاملك مولاك بالوفاء وأنت تعامله بالجفاء، ليس الرجل من صاح بين الناس فى المجلس إنما الرجل من صاح على نفسه وردها إلى الله

تعالى، من عال هم الدنيا وترك هم الآخرة كان كمن جاءه أسد يفترسه ثم قرصه برغوث فاشتغل به عن الأسد.

فإن من غفل عن الله تعالى اشتغل بالحقير، ومن لم يغفل عنه لم يشغل إلا به، فأحسن أحوالك أن تفوتك الدنيا لتحصيل الآخرة، يا طالما فاتتك الآخرة لتحصيل الدنيا.

ما أقبح الخوف بالجندى ما أقبح اللحن بالنحوى، وما أقبح طلب الدنيا لمن يظهر الزهد فيها.

ليس الرجل من يريك لفظه إنما الرجل من يريك لحظه.

عن الشيخ أبي العباس المرسى رضى الله عنه أنه قال: إذا كانت السلحفاة تربى أفراخها بالنظر، كذلك الشيخ يربى مريده بالنظر لأن السلحفاة تبيض فى البر وتتوجه إلى جانب النهر تنظر إلى بيضها فيربيهم الله لها بنظرها إليهم.

إياك أن تخرج من هذه الدار وما ذقت حلاوة حبه، ليس حلاوة حبه فى المآكل والمشارب لأنه يشاركك فيها الكافر والدابة، بل شارك الملائكة فى حلاوة الذكر والجمع على الله تعالى.

لأن الأرواح لا تحتمل رشاش النفوس فإذا انغمست فى جيفة الدنيا لا تصلح للمحاضرة.

لأن حضرة الله تعالى لا يدخلها المتلطخون بنجاسة المعصية، فطهر قلبك من العيب يفتح لك باب الغيب، وتب إلى الله وارجع إليه بالإنابة والذكر، ومن أدام قرع الباب يفتح له، ولولا الملاطفة ما قلنا لك ذلك، لأنه كما قالت رابعة العدوية رضى الله عنها: متى أغلق هذا الباب لا يفتح. ولكن يا هذا باب يوصلك إلى قربه.

وإياك وذهول القلب عن وحدانية الله تعالى، فأولى درجات الذاكرين استحضار وحدانيته تعالى وما ذكره الذاكرون وفتح عليهم إلا باستحضارهم ذلك.

ما طردوا إلا بذكرهم مع غلبة الذهول عليهم وتستعين على ذلك بقمع الشهوتين البطن والفرج ولا يضادك فى الله إلا بنفسك وما أكثر توددك للخنى وما أقل توددك للحق.

لو فتح لك باب التودد مع الله لرأيت العجائب، ركعتان فى جوف الليل تودد، عيادتك للمريض تودد.

صلاتك على الجنائز تودد.

الصدقة على إعانتك لأخيك المسلم تودد.

إماطتك الأذى عن الطريق تودد.

ولكن السيف المطروح يحتاج إلى ساعد، ولا عبادة أنفع لك من الذكر لأنه يمكن للشيخ الكبير والمريض الذى لا يستطيع القيام والركوع والسجود.

واعلم: أن العلماء والحكماء يعرفونك كيف تدخل إلى الله تعالى، هل رأيت مملوكاً أول ما يشترى يصلح للخدمة، بل يعطى لمن يربيه ويعلمه الأدب، فإن صلح وعرف الأدب قدمه للملك.

كذلك الأولياء رضى الله عنهم، يصحبهم المريدون حتى يزجوا بهم إلى الحضرة، كالعوام إذا أراد أن يعلم الصبى العوم يحاذيه إلى أن يصلح للعوم وحده، فإذا صلح زجه فى اللجة وتركه.

وإياك أن تعتقد أنه لا يتوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين، فإنهم وسيلة جعلها الله إليه لأن كل كرامة للولى هى شهادة بصدق النبى، لأنها جرت على أيدى الأولياء مثل خرق العادات، والمشي على الماء، والطيران فى الهواء، وأخبار المغيبات، ونبع الماء ونحو ذلك لأنهم لم يعطوا ذلك إلا لأجلهم.

عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضى الله تعالى عنه أنه قال كل نفسك وزنها بالصلاة فإن انتهت عن الحظوظ فاعلم أنك سعدت وإلا فابك على نفسك. وإذا جررت رجلك إلى الصلاة جرا فهل رأيت حبيباً لا يريد لقاء حبيبه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾[1].

فمن أراد أن يعرف حقيقته عند الله وينظر حاله مع الله فلينظر إلى صلاته، إما بالسكون والخشوع، وإما بالغفلة والعجلة، فإن لم تكن بالوصفين السابقين، فاحث التراب على رأسك. فإن من جالس صاحب المسك عبق عليه من ريحه.

فإن الصلاة مجالسة الله تعالى، فإذا جالسته ولم يحصل لك منه شئ دل ذلك على مرض فيك، وهو إما كبر أو عجب أو عدم أدب قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[2].

فلا ينبغى لمن صلى أن يسرع الخروج، بل يذكر الله تعالى ويستغفره من تقصيره فيها، فرب صلاة لا تصلح للقبول فإن استغفرت الله بعدها قبلت.

كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا صلى استغفر الله ثلاث مرات.

كم فيك من الكوامن فإذا أوردت عليها الواردات أظهرتها وأعظمها ذنباً الشك فى الله والشك فى الرزق شك فى الرزاق.

الدنيا أحقر من أن يعال همها صغرت الهمم فعالت صغيراً، فلو كنت كبيرا لعلت الكبير،

من عال الهم الصغير وترك الهم الكبير استسفلنا عقله، قم أنت بما يلزمك بوظائف العبودية، وهو يقوم لك بما التزمه.

أيرزق الجعل والوزغ وبنات وردان وينسى أن يرزقك ؟ قال الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾[3].

---

(1) سورة العنكبوت: آية رقم: 45 .
(2) سورة الأعراف آية رقم: 146 .
(3) سورة طه: آية رقم: 132.

كل من كان مراعيا لحق الله تعالى لا يحدث الله حدثاً فى المملكة إلا أعلمه.

نظر بعضهم إلى جماعة فقال: هل فيكم من إذا أحدث الله سبحانه وتعالى فى المملكة حدثاً أعلمه؟ قالوا لا، فقال لهم: ابكوا على أنفسكم.

كان المتقدمون من السلف رضى الله عنهم يسألون الشخص عن حاله ليستثيروا منه الشكر، والناس اليوم ينبغى أن لا يسألوا، فإنك إن سألت تثير الشكوى.

عن بعض النباشين أنه تاب إلى الله تعالى فقال يوماً لشيخه يا سيدى نبشت ألف قبر فوجدت وجوههم محولة عن القبلة.

فقال الشيخ يا ولدى ذلك من شكهم فى رزقهم، يا عبد الله إذا طلبت من الله فاطلب منه أن يصلحك من كل الوجوه، وأن يصلحك بالرضا عنه فى تدبيره لك، ثم إنك عبد شرود، طلب منك أن تعبر إليه ففرت منه، فإن الفرار يكون بالأفعال والأحوال والهمم.

فإذا كنت فى صلاتك تسهو وفى صومك تلغو وفى لطف الله تشكو، فأنت شارد.

عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه قال: بقيت مرة فى البادية ثلاثة أيام لم يصح لى شئ، فجاز على بعض النصارى فرآنى متكئاً، فقال: هذا قسيس من المسلمين فوضعوا عند رأسى شيئاً من الطعام وانصرفوا.

فقلت يا للعجب كيف رزقت على أيدى الأعداء ولم أرزق على أيدى الأحباء.

فقيل ليس الرجل من يرزق على أيدى الأحباء، إنما الرجل من يرزق على أيدى أعدائه.

يا هذا اجعل نفسك كدابتك كلما عدلت عن الطريق ضربتها فرجعت إلى الطريق، ولو فعلت مع نفسك مثل ما تفعل بجبيتك كلما توسخت غسلتها

وكلما تقطع منها شئ رقعته وجددته، كانت لك السعادة، فرب رجل ابيضت لحيته وما جلس مع الله جلسة يحاسب نفسه فيها.

عن الشيخ مكين الدين الأسمر رضى الله عنه، أنه قال: كنت فى البداءة أحاسب نفسى عند المساء، فأقول: تكلمت اليوم بكذا وكذا، فأجد ثلاث كلمات أو أربعاً، وكان عنده يوماً شيخ عمره نحو تسعين سنة فقال له يا سيدى: أشكو إليك كثرة الذنوب، فقال له الشيخ: هذا شئ لا نعرفه وما أعرف أنى عملت ذنباً قط، كما أن للدنيا أبناء من استند إليهم كفوه، فكذلك إن للآخرة أبناء من استند إليهم أغنوه.

ولا تقل طلبنا فلم نجد، فلو طلبت بصدق لوجدت، وسبب عدم وجدانك عدم استعدادك، فإن العروس لا تجلى على فاجر.

فلو طلبت رؤية العروس لتركت الفجور، ولو تركت الفجور لرأيت الأولياء، والأولياء كثيرون، لا ينقص عددهم ولا مددهم، ولو نقص واحد منهم لنقص نور النبوة.

إذا أحببت حبيباً لن تصل إليه حتى تكون أهلاً للوصول إليه حتى تتطهر مما أنت فيه من الرذائل.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: أولياء الله عرائس والعرائس لا يراها المجرمون.

إذا ثقلت عليك الطاعة والعبادة ولم تجد لها حلاوة فى قلبك وتخفف عليك المعصية وتجد لها حلاوة فاعلم أنك لم تصدق فى توبتك.

فإنه لو صح الأصل لصح الفرع، ليتك لو أطعت مولاك كما يطيعك عبدك فإنك تحبه ناهضاً فى خدمتك دائماً، وأنت تحب الطاعة وتطلب أن تفرغ منها بسرعة كأنك تنقر بالمناقير.

فيا ليت بصراً نظرت به محاسن الغير عوضت عنه العمى، كم حصل لك الهوان بالوقوف على أبواب المخلوقين، وكم أهانوك وأنت لا ترجع إلى مولاك.

عن الشيخ مكين الدين الأسمر رضى الله عنه أنه قال: رأيت فى المنام حورية وهى تقول: أنا لك وأنت لي، قال فبقيت نحو شهرين أو ثلاثة لا أستطيع لمخلوق كلاماً إلا تقيأت لطيب كلامها. كفاك من الإدبار أن تفتح عينيك فى هذه الدار قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [1] قدر لك الصحة والمرض، والغنى والفقر، والفرح والحزن، حتى تعرفه بأوصافه.

من صحبك يوماً أو يومين، ولم ير منك نفعاً تركك وصحب غيرك، وأنت صحبت نفسك أربعين سنة ولم تر منها نفعاً فقل لها ارجعى يا نفس إلى رضا ربك، طالما وافقتك فى الشهوات فتبدلى بعد البطالة بالاشتغال بالله، وبعد الكلام بالصمت، وبعد الوقوف بالحارات الجلوس بالخلوة، وبعد الأنس بالمخلوقين الأنس بالخالق، وبعد قرناء السوء معاشرة أهل الخير والصلاح.

اجعل أحوالك على ضد ما كنت عليه، أجعل بدل السهر فى معصية الله السهر فى طاعة الله، وبعد الإقبال على أهل الدنيا الإعراض عنهم، والإقبال على الله، وبعد الإصغاء لكلامهم الإصغاء والاستماع لكلام الله عز وجل ذكره، وبعد الأكل بالشره والشهوة الأكل القليل الذى يعينك على الطاعة قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [2].

إنما عصى الله من لم يعرف عقابه، وإنما ترك طاعة الله من لم يعرف ثوابه، فلو اطلعوا على عذاب النار لما غفلوا، ولو اطلعوا على ما أعد الله لأهل الجنة لما تركوها طرفة عين.

---

(1) سورة طه آية رقم: 131 .

(2) سورة العنكبوت: آية رقم: 69.

إذا صحبت أبناء الدنيا جذبوك إليها، وإذا صحبت أبناء الآخرة جذبوك إلى الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يحشر المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

كما تختار لنفسك المآكل الطيبة التى لا ضرر فيها والزوجة الحسنة لتتزوجها فكذلك لا توادد إلا من يعرفك الطريق إلى الله سبحانه وتعالى: واعلم أن لك ثلاثة أخلاء:

(أحدها): المال تفقده عند الموت.

(والثانى): العيال يتركونك عند القبر.

(والثالث): عملك لا يفارقك أبداً.

فاصحب من يدخل معك قبرك وتأنس به.

فالعاقل من عقل عن الله أوامره ونواهيه، مثالك كالعجل، يعيش فى الروث والعذرة، وإذا قرب إليه الورد مات من رائحته.

فمن الناس من هو جعل الهمة فراش العقل فإن الفراش لا يزال يرمى نفسه فى النار حتى تحرقه، فكذلك أنت ترمى نفسك فى نار المعصية عمداً، فلو أردت السير إلى الله تعالى شددت الحزم فأين الهمة؟.

إنما تأكل لتعيش لا تعيش لتأكل، فإن فعلت ذلك فمثالك على المذاود كثير ومثلك فى الدواب كثير، فإن فعلت ذلك فإن أسبق الخيل ما ضمر، تقول هذه الليلة أقلل الأكل، فإذا حضر الطعام كأنه حبيب مفارق، ومن لم يرد الله صلاحه تعبت فيه الأقاويل، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[1].

ما أهربك من الهوان وما أوقعك فيه قمين نفسك وتلقيها فى مواطن الردى.

(1) سورة المائدة آية رقم: 41.

قال بعضهم: كن مع الله كالطفل مع أمه: كلما دفعته أمه ترامى عليها لا يعرف غيرها.

يا عبد الله تنتخب لنفسك الطيبات، بل تنتخب لدابتك العلف، وتعامل الله بالمجازفة، وربما قلبت عشرين بطيخة حتى تصلح لك واحدة لدهليز مرحاض، وتقعد عند الأكل متربعاً، وربما طولت فى الأكل.

وإذا جئت إلى الصلاة نقرتها نقر الديك والوساوس والخواطر الرديئة تأتيك فى صلاتك، مثال من هذه حالته كمن نصب نفسه للهدف وقعد فالرماح، والسهام تقصده من كل جانب، أفما هذا أحمق العباد.

مثالك إذا سمعت الحكمة ولم تعمل بها، كمثل الذى يلبس الدرع ولا يقاتل إلا فقد حصل النداء على سلعتنا فهل من مشتر؟

قيمتك قيمة ما أنت مشغول به، فإن اشتغلت فى الدنيا فلا قيمة لك، لأن الدنيا كالجيفة لا قيمة لها، أفضل ما يطلب العبد من الله أن يكون مستقيماً معه، قال الله تعالى:﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[1].

فاطلب منه الهداية والاستقامة، وهو أن تكون مع الله فى كل حال بالذى يرضاه لك، وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى: من بذل لله صرف الود سقاه صرف الكرم.

---

(1) سورة الفاتحة، آية رقم: 6.

مثال السالك كمن يحفر على الماء قليلاً قليلاً حتى نجد الثقب فينبع له الماء بعد الطلب.

ومثال المجذوب كمن أراد الماء فأمطرت له سحابة فأخذ منها ما يحتاج إليه من غير تعب، إذا أعطيت نفسك كل ما تشتهى وتطلب من الشهوات كنت كمن فى بيته حية يسمنها كل يوم حتى تقتله.

ولو جعل فيك الروح من غير نفس لأطعت وما عصيت، ولو جعل فيك النفس من غير روح لعصيت وما أطعت، فلذلك جعل فيك القلب والروح والنفس، كالنحلة جعل فيها اللسعة والعسل، فلذلك تتلون، فالعسل ببره واللسع بقهره فأراد أن يكسر دعوة النفس بوجود القلب، ودعوة القلب بوجود النفس.

يا عبد الله: طلب منك أن تكون له عبداً فأبيت أن تكون إلا ضدا، إقبالك على الله إفرادك له بالعبادة، فكيف يرضى لك أن تعبد غيره، فلو أتيتنا تطلب العطاء منا ما أنصفتنا، فكيف ترضى إذا أقبلت على من سوانا وقفت الدنيا فى طريق الآخرة، فصرفت الوصول إليها، ووقفت الآخرة فى طريق الحق فمنعت الوصول إليه.

إن من لطف الله لك أن يكشف لك عن عيوب نفسك ويسترها عن الناس، إذا أعطيت الدنيا ومنعت الشكر فيها، فهى محنة فى حقك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قليل الدنيا يلهى عن طريق الآخرة».

كان لبعضهم زوجة فقالت له يوماً: لا أقدر على أن تغيب عنى، ولا أن تشتغل بغيرى، فنودى إذا كانت هذه لا خالقة ولا موجدة وهى تحب أن تجمع قلبك عليها، فكيف لا أحب أنا أن تجمع قلبك على ؟.

كنت مرة عند الشيخ أبي العباس المرسى رضى الله عنه، فقلت فى نفسى أشياء، فقال الشيخ: إن كانت النفس لك فاصنع بها ما شئت، ولن تستطيع ذلك.

ثم قال: النفس كالمرأة، كلما أكثرت خصامها أكثرت خصامك، فسلمها إلى ربها يفعل بها ما يشاء، فربما تعبت فى تربيتها فلا تنقاد لك. فالمسلم من أسلم نفسه إلى الله، بدليل قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [1].

إذا أحبك مولاك أعرض عنك أصحابك، حتى لا تشتغل بهم عنه، وقطع علائقك من المخلوقين حتى ترجع إليه، كم تطلب نفسك إلى الطاعة وهى تتقاعد، إنما تحتاج إلى معالجة نفسك فى الابتداء، فإذا ذاقت المنة جاءت اختياراً، فالحلاوة التى كانت تجدها فى المعصية ترجع تجدها فى الطاعة.

مثال الإيمان فى القلب كالشجرة الخضراء فإذا كثرت عليها المعاصى يبست وفرغ إمدادها، فمن أحب القيام بالواجبات فليترك المحرمات، ومن ترك المكروهات، أعين على تحصيل الخيرات، ومن ترك المباحات وسع عليه توسعة لا يسعها عقله، وأباح له حضرته، ومن ترك استماع ما حرم عليه كلامه، ولكن ما أهون العبادة التى فيها هوى نفسك عليك، وما أثقل ما ليس فيه هوى.

مثاله: أن تحج تنفلاً، فإن قيل لك تصدق بذلك شق عليك لأن أمر الحج يرى، فللنفس فيه حظ، الصدقة تطوى وتنسى وكذلك درسك العلم لغير الله.

فإنك تدرس الليل كله ونفسك طيبة بذلك.

فإذا قيل لك صل بالليل ركعتين شق ذلك عليك، لأن الركعتين بينك وبين الله ليس فيهما للنفس حظ، والقراءة والدرس للنفس فيهما حظ مشاركة للناس، فلأجل ذلك خفف عليها.

---

(1) سورة التوبة: آية رقم: 111 .

قال بعضهم: تاقت نفسى إلى الزواج، فرأيت المحراب قد انشق، وخرج منه نعل من ذهب مكلل باللؤلؤ، فقيل لى هذا نعلها فكيف وجهها، فانقطعت شهوة النكاح من قلبى.

من هيئت له المنازل، لم يرض له بالقعود على المزابل، فاعمل الأعمال الصالحات بينك وبين الله سراً، ولا تطلع عليه أهلك، وأجعله مدخراً عند الله، تجده يوم القيامة، فإن النفس لها تمتع بذكر العمل.

صام بعضهم أربعين سنة ولم يعلم به أهله، لا تنفق أنفاسك فى غير طاعة الله، ولا تنظر إلى صغير النفس بل انظر إلى مقداره، وإلى ما يعطى الله العبد، فالأنفاس جواهر وهل رأيت أحداً يرمى جوهرة على مزبلة ؟ أفتصلح ظاهرك وتفسد باطنك؟.

فمثالك كالمجذوم لبس ثياباً جديدة ويخرج منه فى الباطن القيح والصديد، فأنت تصلح ما ينظر إليه الناس، ولا تصلح قلبك الذى هو لربك.

الحكمة كالقيد، إن قيدت بها نفسك امتنعت، وإن رميتها تسيبت ويخاف عليك، مثال ذلك كالمجنون فى بيتك يخربه ويقطع الثياب، فإذا قيدته استرحت، وإذا طرحت القيد وخرجت فالضرر باق.

يا أيها الشيخ قد أفنيت عمرك، فاستدرك ما فاتك، قد لبست البياض وهو الشيب، والبياض لا يحمل الدنس. مثال القلب كالمرآة، ومثال النفس كالنفس، كلما تنفست النفس على المرآة تسودت.

قلب الفاجر كمرآة العجوز التى ضعفت همتها أن تجلوها وتنظر فيها، وقلب العارف كمرآة العروس كل يوم تنظر فيها فلا تزال مصقولة.

همة الزاهدين فى كثرة الأعمال، وهمة العارفين فى تصحيح الأحوال، أربعة تعينك على جلاء قلبك:

كثرة الذكر.

ولزوم الصمت.

والخلوة. وقلة المطعم والمشرب.

أهل الغفلة إذا أصبحوا يتفقدون أموالهم.

وأهل الزهد والعبادة يتفقدون أحوالهم.

وأهل المعرفة يتفقدون قلوبهم مع الله عز وجل، ما من نفس يبديه الله تعالى فيك من طاعة أو مرض أو فاقة، إلا وهو يريد أن يختبرك بذلك.

ومن طلب الدنيا بطريق الآخرة، كان كمن أخذ ملعقة ياقوت يغرف بها العذرة، فما بعد هذا أحمق، لا تعتقد أن الناس فاتهم العلم، بل فاتهم التوفيق أكثر من العلم.

أول ما ينبغى لك أن تبكى على عقلك، فكما يقع القحط فى الكلأ، يقع فى عقول الرجال، وبالعقل عاش الناس مع الناس ومع الله تعالى، مع الناس بحسن الخلق، ومع الله باتباع مرضاته.

إن من الله عليك بثلاثة فقد من عليك بالنعمة الكبرى:

الأولى: الوقوف على حدوده.

والثانية: الوفاء بعهوده.

والثالثة: الغرق فى شهوده .

وما سبب استغرابك لأحوال العارفين إلا استغراقك فى القطيعة. ولو شاركتهم فى الإخبار، ولو شاركتهم فى العنا، لشاركتهم فى الهنا، ما شأن نفسك وقت الرضا إلا كالبعير المعقول، فإذا سيبته انطلق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقلب ابن آدم أشد تقلباً من القدر على النار إذا غلت) فكم من كان فى جمع مع الله أتته الفرقة فى نفس واحد، وكم من بات فى طاعة الله ما طلعت عليه الشمس حتى دخل فى القطيعة.

فالقلب بمثابة العين، والعين لا ترى بها كلها، بل بمقدار العدسة منها.

وكذلك القلب لا يراد منه اللحمانية، بل اللطيفة التى أودعها الله فيه، وهى المدركة، وجعل الله القلب معلقاً فى الجانب الأيسر كالدلو.

فإن هب عليه هوى الشهوة حركه، وإن هب عليه خاطر التقوى حركه فتارة يغلب عليه خاطر الهوى، وتارة يغلب عليه خاطر التقوى، حتى يعرفك مرة منه، ومرة قهره.

فمرة يغلب عليه خاطر التقى ليمدحك، ومرة يغلب عليه خاطر الهوى ليذمك.

فالقلب بمثابة السقف، فإذا أوقد فى البيت نار، صعد الدخان إلى السقف فسوده، فكذلك دخان الشهوة إذا نبت فى البدن صعد دخانه إلى القلب فسوده.

إذا ظلمك القوى فارجع إلى القوى، ولا تخف منه فيسلط عليك.

مثال من يشهد الضرر من المخلوقين، كمن ضرب الكلب بحجر فاقبل الكلب على الحجر يعضه ولا يعرف أن الحجر ليس بفاعل فيكون هو والكلب سواء.

مثال من يشهد الإحسان من المخلوقين كالدابة إذا رأت سايسها بصبصت ويدنو إليها مالكها فلا تلقى إليه بالا، فإن كنت عاقلاً فاشهد الأشياء من الله عز وجل ولا تشهدها من غيره.

ليس التائه من تاه فى البرية، بل التائه من تاه عن سبيل الهدى، تطلب العز من الناس ولا تطلبه من الله، فمن طلبه من الناس فقد أخطأ الطريق، ومن أخطأ الطريق لم يزده سيره إلا نبها.

فهذا هو التائه حقاً، إذا قلت: لا إله إلا الله طالبت الله بها وبحقها، وهو أن لا تنسب الأشياء إلا إليه.

مثال القلب إذا سلمته إلى النفس كمن تعلق بغريق فغرق كل واحد منهما.

ومثال النفس إذا سلمتها للقلب كمن أسلم نفسه إلى عوام قوى فسلمها له.
فلا تكن ممن أسلم قلبه إلى نفسه.

فهل رأيت بصيراً قلد نفسه إلى أعمى يقوده، إن أمكنك أن تصبح وتمسى وما ظلمت أحداً من العباد فأنت سعيد، فإن لم تظلم نفسك فيما بينك وبين الله فقد تكلمت لك السعادة فأغلق عينيك وسد أذنيك.

وإياك وإياك وظلم العباد، ما مثالك فى صغر عقلك وكونك لا تعلم ما عليك من الملابس، إلا كالمولود تكسوه أمه أحسن الملابس وأفخرها وهو لا يشعر، وربما دنسها ونجسها، فتسرع إليه أمه وتكسوه أخرى لئلا يراه الناس كذلك وتغسل ما تنجس وهو لا يعلم ما فعل به لصغر عقله.

عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه قال: قيل لى يا على طهر ثيابك من الدنس تحفظ بمدد الله فى كل نفس،

فقلت وما ثيابى؟

فقيل لى:

إن الله كساك حلة المعرفة .

ثم حلة التوحيد.

ثم حلة المحبة .

ثم حلة الإيمان.

ثم حلة الإسلام.

فمن عرف الله صغر لديه كل شئ، ومن أحب الله هان عليه كل شئ ومن وجد الله لم يشرك به شيئاً، ومن آمن بالله أمن من كل شئ، ومن أسلم لله قل ما يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه، وإن اعتذر إليه قبل عذره.

قال ففهمت من ذلك قوله تعالى:﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[1]، يا من عاش وما عاش، تخرج من الدنيا وما ذقت ألذ شئ فيها، وهى مناجاة الحق سبحانه، ومخاطبته لك.

فأنت ملقى جيفة بالليل، فإن دفعت عنه فاستغث بالله، وقل يا ملائكة الله ويا رسول ربى، فاتتنى الغنيمة التى نالوها من لذة المناجاة ووداد المصافاة .

إذا كان العبد معجباً بطاعته، متكبراً على خلقه، ممتلئاً عظمة، يطلب من الخلق أن يوفوا حقوقه، ولا يوفى حقوقهم، فهذا يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله.

وإذا كان فعل معصية، تراه باكياً حزيناً منكسراً ذليلاً، يتطارح على أرجل الصالحين، ويزورهم معترفاً بالتقصير، فهذا يرجى له حسن الخاتمة.

إذا طلبت قارئاً وجدت مالا يحصى، وإذا طلبت طبيباً وجدت كثيراً، وإذا طلبت فقيهاً وجدت مثل ذلك.

وإن طلبت من يدلك على الله ويعرفك بعيوب نفسك لم تجد إلا قليلاً، فإن ظفرت به فامسكه بكلتا يديك.

وإن أردت أن تنصر فكن كأنك ذلة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾[2].

إن أردت أن تعطى فكن كلك. فاقرأ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾[3].

تكون فى وسط النهر وأنت عطشان، تكون معه فى الحضرة تطلب الاتصال.

كأن العباد لم يتواصلوا للآخرة إلا بكثرة المأكل والمشرب.

أو قيل لهم هذه توصلكم إلى الآخرة، ولكن ما أرخص نفسك عليك لولا هوانها عليك ما عرضتها لعذاب الله تعالى، وما أغلاها فى طلب الدنيا وجمعها،

---

(1) سورة المدثر: آية رقم: 4 .

(2) سورة آل عمران: آية رقم: 123 .

(3) سورة التوبة: آية رقم: 60 .

والعجب كل العجب فيمن يسأل المنجم عن حاله، ولا يسأل كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذا ضعفت عن العبادة، فرقع عبادتك بالبكاء والتضرع، إذا قيل لك من يبكي عليه، فقل عبد عوفى فأنفق عافيته فى معصية الله.

إذا نمت على تخليط رأيت التخليط فى منامك، بل ينبغى لك أن تنام على طهارة وتوبة، فيفاتح قلبك بنوره.

ولكن من كان فى نهاره لاغياً، كان فى ليله عن الله ساهياً، إذا رأيت ولياً لله تعالى، فلا يمنعك إجلاله من أن تقعد بين يديه متأدباً، وتتبرك به.

واعلم أن السماء والأرض لتتأدب مع الولى، كما يتأدب معه بنو آدم، فمن فرح بالدنيا إذا جاءته، فلقد ثبت حمقه،،أحمق منه من إذا فاتته حزن عليها.

فمثالك كمن جاءته حية تلدغه ثم مضت وسلمه الله منها، فحزن عليها إن لم تضره .

من علامات الغفلة وصغر العقل، هو أن تعول هماً هل يقع أولاً، وتترك أن تعول هماً لا بد من وقوعه، وتصيح وتقول كيف يكون السعد غدا، وكيف يكون الحال فى هذه السنة.

وألطاف الله تأتى من حيث لا تعلم والشك فى الرزق شك فى الرزاق، وما سرق السارق وما غصب الغاصب الأرزاق[1]. فما دمت حياً لا ينقص من رزقك شيئاً، كفى بك جهلاً أن تعول الهم الصغير، وتترك الهم الكبير.

على هم هل تموت مسلماً أو كافراً.

على هم هل أنت شقى أو سعيد.

على هم، النار الموصوفة بالأبدية التى لا انتهاء لها.

على هم، أخذ الكتاب باليمين أو بالشمال، هذا هو الهم الذى يعال.

---

(1) فى بعض النسخ (وما غصب الغاصب إلا رزقه) والصحيح ما أثبتناه ويفسر ذلك ما جاء بعده.

لا تعل هم لقمة تأكلها، أو شربة تشربها، أيستخدمك الملك ولا يطعمك، أتكون فى دار الضيافة وتضيع، إن أحب ما يطاع الله به الثقة به.

لأن تكون خاملاً فى الدنيا، خير لك من أن تكون خاملاً يوم القيامة، هذه صفوة العمر وغربلته، يا من لا يأكل الحنطة إلا مغربلة.

لا بد لك أن يغربل عملك، فلا يبقى لك إلا ما أخلصت فيه، وما عدا ذلك يرمى.

وأكثر ما يخاف عليك مخالطة الناس، ولا يكفك أن تسمع بأذنك، بل تشاركهم فى الغيبة وهى تنقض الوضوء وتفطر الصائم.

كفى بك جهلاً أن تغار على زوجتك ولا تغار على إيمانك، كفى بك خيانة أن تغار عليها لأجل نفسك، ولا تغار على قلبك لأجل ربك.

إذا كنت تحفظ ما هو لك ألا تحفظ ما هو لربك، إذا رأيت من يصبح مهموماً لأجل الرزق، فاعلم أنه بعيد من الله، فإنه لو قال لك مخلوق لا تشتغل غداً بسبب وأنا أعطيك خمسة دراهم، وثقت به وهو مخلوق فقير.

فما تكتفى بالغنى الكريم، الذى ضمن لك رزقك مع أجلك، أنشد إنسان:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار

ولا تشرب باقداح صغار فقد ضاق الزمان عن الصغار

ومعناه: عنده إذا مضت العشرون من شعبان، فقد قرب رمضان يقطع علينا الشراب.

ومعناه: عند أهل الطريق إذا خلفت أربعين سنة وراء ظهرك، فواصل العمل الصالح بالليل والنهار، لأن الوقت قد قرب إلى لقاء الله عز وجل.

فليس عملك كعمل من كان شاباً ولم يضيع شبابه ونشاطه، وأنت قد ضيعت شبابك ونشاطك.

هب أنك تريد الجد، ولكن لا تساعدك القوى، فاعمل على قدر حالك، ورقع الباقى بالذكر، فإنه لا شئ أسهل منه، يمكنك حال القيام والقعود والمرض والاضطجاع، فهذا أسهل العبادات، وهى التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: [وليكن لسانك رطباً بذكر الله].

وأى دعاء أو ذكر سهل عليك، فواظب عليه، فإن مدده من الله عز وجل، فما ذكرته إلا ببره، وما أعرضت عنه إلا بسطوته وقهره.

فاعمل واجتهد فالغفلة فى العمل خير من الغفلة عنه، ترى حالك حال الزاهدين فى الفضل، لأن الطالب لا ينقطع عن الأبواب، بل تجده واقفاً عليها.

فمثاله كالثكلى التى مات ولدها، أتراها تحضر الأعراس والأفراح والولائم، بل هى مشغولة بفقد ولدها.

وكم يرسل لك المولى الصنائع وأنت عبد شرود، فمثالك كالطفل فى المهد كلما حرك نام.

ولو أرسل لك الملك خلعة ما أصبحت إلا على بابه، فاغتنم أوقات الصلوات واصطبر عليها.

إن طلبت أن تعصيه فاطلب مكاناً لا يراك فيه أحد، واطلب قوة من غيره تعصيه بها ولن تستطيع شيئاً من ذلك لأن الكل من نعمة تأخذ نعمه، وتعصيه بها، بل تفننت فى المخالفات، مرة بالغيبة ومرة بالنميمة، ومرة بالنظر.

وما بنيته فى سبعين سنة تهدمه فى نفس واحد، يا هادم الطاعات، ما سلط الله عليك الفاقة إلا لترفع حالتك إليه، ولتجتمع عليه.

فيا من يغرق نفسه فى الشهوات والمعاصى، ليتك أعطيتها ذلك فى المباحات، فمن عاملته بالدنايا وعاملك بالمنن، كيف لا تحبه، من عاملك بالكرم وعاملته باللؤم كيف لا تحبه.

ما أحد يصحبك فينفعك، وكل من يصحبك إنما يصحبك لنفسه، وإنما تحبك الزوجة لتجتنى منك مطايب العيش والملابس.

وكذلك الولد يقول أشد بك ظهرى، فإذا كبرت ولم يبق فيك قوة ولا بغية رفضوك.

لو انقطعت عن الخلق لفتح باب الأنس به تعالى. لأن الأولياء قهروا أنفسهم بالخلوة والعزلة، فسمعوا من الله وأنسوا به.

فإن أردت أن تستخرج مرآة قلبك من الأكدار، فارفض ما رفضوا وهو الأنس بالخلق، وأنس جرى لفلان واتفق لفلان، ولا تقعد على أبواب الحارات، فمن استعد استمد.

فإذا هيأ لك الاستعداد فتح لك باب الاستمداد، من أحسن قرع الباب فتح له، فرب طالب أساء قرع الباب فرد لسوء أدبه ولم يفتح له، وأكثر ما أوفى العباد من قلة الصمت.

فلو تقربت إلى الله لسمعت مخاطبته على الدوام، فى سوقك وبيتك، ولكن من استيقظ شهد، ومن نام لم تسمع أذنا قلبه، ولم تشهد بصيرته ولكن الحجاب مرخى.

ولو أن العباد فطنوا لم يقبلوا إلا على الله، ولم يجلسوا إلا بين يديه، ولم يستفتوا غيره، لقوله صلى الله عليه وسلم: «استفت قلبك وإن أفتوك».

لأن الخواطر الإلهية تأتى من الله تعالى فهى موافقة، وربما أخطأ المفتى والقلب لا يخطئ.

وهذا مخصوص بالقلوب الطاهرة، وإنما يستفتى عالم ولا علم لمن غفل عن الله تعالى.

كانوا رضى الله عنهم لا يدخلون فى شئ بنفوسهم، ولكن من الله وبالله، وأن المسافة بعدت بين الأولياء والصحابة، فجعلت الكرامات جبراً لما فاتهم من قرب المتابعة التامة.

فإن من الناس من يقول: إن الأولياء لهم الكرامات، والصحابة لم يكن لهم ذلك، بل كانت لهم الكرامات العظيمة بصحبتهم له صلى الله عليه وسلم: وأى كرامة أعظم منها.

واعلم أن كل صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر لا تسمى صلاة. لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[1].

وأنت تخرج من الصلاة ومن مناجاة الحق سبحانه وتعالى. فى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [2]. ومناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم بقولك: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته.

وهذا فى كل صلاة، ثم تخرج إلى الذنوب بعد هذه النعم التى أنعم الله بها عليك.

عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه: أنه كان يحضر عنده فقهاء الإسكندرية والقاضى، فجاءوا مرة مختبرين للشيخ، فتفرس فيهم وقال: يا فقهاء هل صليتم قط؟.

فقالوا يا شيخ وهل يترك أحدنا الصلاة.

فقال لهم، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾[3].

فهل أنتم كذلك ؟ إذا مسكم الشر لا تجزعوا، وإذا مسكم الخير لا تمنعوا.

قال فسكتوا جميعاً.

---

(1) سورة العنكبوت: آية رقم: 45.
(2) سورة الفاتحة: آية رقم: 5.
(3) سورة المعارج: آية رقم: 22.

فقال لهم الشيخ: فما صليتم هذه الصلاة قط.

إن تفضل عليك بالتوبة فمن فضله سبحانه وتعالى، تبت إليه وإنك تذنب سبعين سنة فتتوب إليه فى نفس واحد، فيمحو ما عملته فى تلك المدة، التائب من الذنب كم لا ذنب له.

فالمؤمن كلما ذكر ذنبه حزن، وكلما ذكر طاعته فرح.

قال لقمان الحكيم: المؤمن من له قلبان، يرجو بأحدهما ويخاف بالآخر.

يرجو قبول عمله ويخاف أن لا يقبل منه، لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا.

من أراد الجمع على الله، فعليه بقيام أوامر الله، إذا اطلعت على زوجتك بخيانة، فإنك تغضب عليها، فكذلك نفسك قد خانتك فى عمرك.

وأجمع العقلاء على أن الزوجة إذا خانت لا يأويها بل يطلقها، فطلق نفسك.

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟.

فقال عليه الصلاة والسلام: «تقوى الله وحسن الخلق».

فقيل له فما أكثر ما يدخل الناس النار فقال عليه الصلاة والسلام: «الأجوفان الفم والفرج».

فاغسل قلبك بالندم على ما فاتك من الله عز وجل. غلطوا والله فى النوائح على زوجة أو زوج أو والد، بل كان من حقهم أن يقيموا النوائح على فقدانهم تقوى الله من قلوبهم.

تقهقه بالضحك كأنك جاوزت الصراط وعثرة النيران، إذا لم يكن بينك وبين الله ورع يحجزك عن المعاصى إذا خلوت، وإلا فضع التراب على رأسك لقوله صلى الله عليه وسلم: «من لم يكن له ورع يحجزه عن معاصى الله إذا خلا لم يعبأ الله بشىء من عمله».

لا شئ يخجلك يوم القيامة مثل درهم أنفقته فى حرام، ليس الشأن فيمن يرفق بك إذا وافقته، بل الشأن فيمن يرفق بك إذا خالفته، ومما يخاف عليك موالاة الذنوب، ليستدرجك فيها ويمكنك منها، قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [1].

إن كانت معك عناية تنفعك القليل، وإن لم تكن عناية لم ينفعك الكثير، لو كشف عنك الحجاب لرأيت كل شئ ناطقاً، مسبحاً لله تعالى، ولكن النقص فيك والحجاب منك، ما أكثر احتراسك على بدنك، وما أرخص دينك عليك.

لو قيل لك إن هذا الطعام مسموم لامتنعت منه، ثم لو حلف لك بالطلاق إنه ليس بمسموم لتوقفت عنه، بل لو غسلت الوعاء الذى هو فيه مراراً لنفرت منه نفسك، فلم لا تكون كذلك فى دينك.

نعم الله

وكم لله عليك من أياد، أكثر من أمك، إنها إذا أخذتك وأنت صغير، تلبسك أحسن الملابس، فإن وسختها تخلع عليك ثياباً أخر فى الوقت.

وأنت تأتى إلى مملكة مزينة، ليس فيها موضع شبر إلا ويصلح للسجود عليه، تتلف ثوبك توسخه بالمعصية، تجلى عليك المحاسن فتجعل فيها ما يكدرها من المعصية، ليس كل من صحب الأكابر اهتدى بصحبتهم.

فلا تجعل صحبة المشايخ علة فى أمنك، فمن اغتر بالله فقد عصاه لأنك أمنت عقوبته كما يقول الجاهل صحبت سيدى فلاناً، ورأيت سيدى فلاناً، ويدعون دعاوى كلها كاذبة باطلة.

بل كان ينبغى لهم أن تزيدهم صحبة المشايخ خوفاً ووجلاً، فقد صحبت المشايخ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أكثر وجلاً ومخافة، وربما كان

(1) سورة الأعراف: آية رقم: 182.

الغنى دفعاً، والفقر جمعاً، لأن الفاقة تحوجك أن تتضرع إلى الله، والفاقة تجمعك على الله، خير من غنى يقطعك عنه.

كما أمرت أن تعرض عن المعصية، أمرت أن تعرض عمن عصى، وتدعو له بالغيبة، والناس اليوم على العكس، وما عسى أن ينفعك صومك وصلاتك وأنت تقع فى عرض أخيك المسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله».

فدل ذلك على أنه يحصل له غبار المعصية ودنس المخالفة.

وما كل غش يطهره الماء، بل رب غش لا تطهره إلا النار، كالذهب إذا كان فيه الغش، فكذلك العصاة من هذه الأمة، لا يصلحون لدخول الجنة حتى تطهرهم النار.

لا تحسد إلا عبدا قد لف فى ملابس التقوى، هذا هو العيش، وما أطيب عيش المحب مع الحبيب، إذا لم يطلع عليه رقيب، فإن أحب أن يطلع عليه رقيب فما صدق فى حبه.

وكل من أراد أن يعلم أحد بحاله فقد خدع، ولا تكن كأرباب الدنيا الذين طلقتهم الدنيا، بل كن من الذين طلقوها وفارقوها قبل انفراقهم.

فمثالك: إذا آثرت الدنيا على الآخرة، كمن له زوجتان:

إحداهما: عجوز خائنة.

والأخرى شابة وفية.

فإذا آثرت العجوز الخائنة على الشابة الوفية، أفما تكون أحمق، ربما قضى عليك بالذنب ليخرج منك الكبر والعجب، يصلى الرجل الركعتين فيعتمد عليهما، ويركن إليهما ويعجب بهما.

فهذه حسنة أحاطت بها سيئات، وآخر يفعل المعصية، فتكسبه الذلة والانسكار.

ويديم المسكنة والافتقار، فهذه سيئة أحاطت بها حسنات، كفى بك جهلاً نظرك إلى صغير إساءة غيرك، وتعاميت عن كثير إساءتك، لا تنتقد على الناس بظاهر الشرع، ولا تنكر عليهم.

فلو خوطبوا اليوم بما كانت عليه الصحابة والسلف الصالح، لم يستطيعوا، لأن أولئك حجج الله على خلقه.

مثال الذنب عند أرباب البصائر، كجيفة أدخلت الكلاب خراطيمها فيها، أرأيت إذا غمس رجل فمه فى جيفة.

أفما تعيب عليه ؟

فإذا كان الحق سبحانه قد جعل ميزانا للبيع والشراء.

فما تجعل ميزانا للحقائق ؟

المتنجس القدم لا يصلح للمحاضرة، فكيف بمن تنجس فمه، من خان هان قيمة اليد خمسمائة دينار، قطعت فى ربع إذا خانت.

ومن تجرأ على صغيرة وقع فى كبيرة، اعرف كمائن نفسك ولا تثق بها، إذا قالت لك نزور فلاناً، فربما رحت إلى نار تتأجج، وترمى نفسك فيها عمداً.

هذا زمان اجتماع، قل ما تجلس مجلساً إلا وتعصى الله فيه، فكثير من السلف آثروا الجلوس فى بيوتهم وتركوا صلاة الجماعة[1].

فإن طالبتك النفس بالخروج، فاشغلها بالقعود فى الدار بشىء من الطاعة، فإن الغيبة أشد من ثلاثين زنية فى الإسلام، ولكن الكلاب لا ترقد على الحيطان، بل على المزابل، من أراد أن ينظر إلى أمثلة القلوب فلينظر إلى الديار.

فدار خربت وقد بقيت مبولة للبوالين، وقلب كالدار العامرة، وقلب كالدار الخراب، لا تظهر شمسك حتى تعامل الله، فتصدق كل يوم ولو بربع درهم، حتى يكتبك الله فى ديوان المتصدقين.

---

(1) ليس هناك دليل على هذا التصرف، وهم كقدوة لا يجوز لهم ذلك حتى لا يقلدهم أتباعهم.

واتل من القرآن كل يوم ولو آية، حتى يكتبك الله فى ديوان التالين، وصل فى الليل ولو ركعتين، حتى يكتبك الله مع القائمين، وإياك أن تغلط وتقول، من عنده قوت يوم بيوم، كيف يتصدق. قال تعالى: ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (1).

فمثال المسكين إذا تصدقت عليه، كالمطية تحمل زادك للآخرة، من أراد النهايات، فعليه بتصحيح البدايات، من صدق مع الله كفاه الله مضرة الأعداء، وحمل عنه مؤنة الأرداء.

قد هان كل الهوان من احتاج إلى الخلق، أتظن أن الدواء حلو كله، إن لم تهجم عليه هجماً لم يحصل لك الشفاء، فاهجم على التوبة ولا تغلبنك حلاوة المعصية.

وإذا رأيت نفسك متطلعة إلى الشهوة فاهرب إلى الله واستغث به، فإنه ينجيك منها.

بدل ما تقول: أين أصحاب الخطوة.

أين الأولياء.

أين الرجال.

قل أين البصيرة، هل يصلح للمتلطخ بالعذرة أن يرى بنت السلطان.

عن الشيخ مكين الدين الأسمر رضى الله عنه أنه قال: كنت بالإسكندرية فرأيت شمساً قد طلعت مع الشمس، فتعجبت من ذلك فدنوت من شاب، فإذا شاب قد خط عذاره، قد غلب نوره على نور الشمس.

فسلمت عليه فرد على السلام.

فقلت له من أين ؟ فقال: صليت الصبح فى المسجد الأقصى ببيت المقدس، وأصلى الظهر عندكم، والعصر بمكة، والمغرب بالمدينة.

(1) سورة الطلاق: آية رقم: 7.

فقلت لو تكون ضيفى، قال لا سبيل إلى ذلك، ثم ودعنى وانصرف.

من أكرم مؤمناً فكأنما أكرم الله، ومن آذى مؤمناً فقد آذى سيده ومولاه.

فإياك أن تؤذى مؤمناً، فإن نفسك قد امتلأت بمساويها، يكفيك حملك، ما مثالك إلا كالبصلة إذا قشرت خرجت كلها قشور.

إذا أردت تنظيف الماء قطعت عنه أسبابه الخبيثة، فمثال الجوارح كالسواقى تجرى إلى القلب.

فإياك أن تسقى بالردى، كالغيبة والنميمة والكلام السيئ، والنظر إلى ما لا يحل وغير ذلك.

فإن القلب لا يحجبه ما خرج منه، وإنما يحجبه ما قام فيه، فاستنارة القلب بأكل الحلال والذكر وتلاوة القرآن، وصونه عن النظر إلى الكائنات المباحات، والمكروهات والمحرمات، فلا تطلق صائد بصرك إلا لمزيد علم أو حكمة.

عوض ما تقول هذه المرآة صدئت قل عينى بها رمد، يكون بك حب الرياسة والجاه وغيرهما.

وتقول الشيخ ما يجذب قلوبنا، قل العائق منى لو استعددت فى أول يوم لما احتجت إلى حضور مجلس ثان، وإنما احتجت إلى التكرار لقوة صداء قلبك، حتى تكون لكل جلسة صقله، عليك بالحوالة على جاه مولاك، واترك من لا يستطيع أن ينفع غيره، اقطع إياسك من الخلق، ووجه رجاءك إلى الملك الحق.

وانظر ماذا عملت، وماذا عمل معك من أول نشأتك، ما صنع معك إلا جوداً وإحساناً، وانظر ماذا صنعت معه، فلا ترى إلا جفاء وعصياناً، ما أكثر موالاتك للمخلوقين، وما أقل موالاتك لله.

جوارحك غنمك وأنت الراعى، والله هو المالك، فإن رعيتها فى المرعى الخصيب حتى أرضيت المالك، استوجبت الرضا، وإن رعيتها فى المرعى الوخيم

حتى أعجف أكثرها، ثم جاء الذئب فأخذ بعضها، استوجبت العقوبة من المالك، فإن شاء انتقم منك، وإن شاء عفا عنك.

إما ثواب إلى الجنة، وإما عقابك بالنار، فإن صرفتها فيما يرضاه، كنت ساعياً فى طريق الجنة، وإلا كنت ساعياً فى طريق النار، فهذه موازين الحكمة، فزن بها عقلك كما تزن بها الأشياء المحسوسات.

فإن أردت أن تعرف كيف تمر على الصراط، فانظر حالك فى الإسراع إلى المساجد، فيكون جزاء الذى يأتى المسجد قبل الأذان، أن يمر على الصراط كالبرق الخاطف، والذى يأتى فى أول الوقت يمر عليه كأجاويد الخيل.

وههنا صراط الاستقامة، لا يشهد بالإبصار ولكن تشهده القلوب، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[1].

ولم يشر إلا إلى موجود، فمن أضاءت له الطريق يتبعها، ومن كانت طريقه مظلمة لم يشهدها فيبقى متحيراً.

فإن كنت قد أطلقت سمعك وبصرك ولسانك برهة من عمرك، فقيد الآن ما أطلقت.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام» وذلك لأنهم سبقوا فى الدنيا بالعبادات.

وأنت تترك الجماعة وتصلى وحدك، وإذا صليتها نقرتها نقر الديك، وهل يهدى للملوك إلا ما حسن وانتخب، فما سبق الفقراء إلى الجنة إلا لأنهم سبقوا إلى خدمة المولى فى الدنيا.

والمراد بالفقراء الصبر الذين صبروا على مر الفاقة، حتى إن أحدهم ليفرح بالشدة كما تفرح أنت بالرخاء فدخول الفقراء الجنة يدل على تحضيضهم على الفاقة.

---

(1) سورة الأنعام : آية رقم: 153.

كفى بك جهلاً أن تتردد إلى مخلوق وتترك باب الخالق، فقد ارتكبت المعاصى من كل جانب، أفلا تكون محزوناً على نفسك.

والعجب كل العجب من عبد يقبل على صحبة نفسه ولا يأتيه الشر إلا منها، ويترك صحبة الله ولا يأتيه الخير إلا منه.

فإن قيل كيف الصحبة لله، فاعلم أن صحبة كل شئ على حسبه، فصحبة الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وصحبة الملكين أن يمليهما الحسنات، وصحبة الكتاب والسنة أن يعمل بهما، وصحبة السماء بالتفكير وصحبتك الأرض بالاعتبار لما فيها.

وليس من لازم الصحبة وجود الرتبة، فالمعنى فى صحبة الله صحبة أياديه ونعمه، فمن صحب النعم بالشكر، وصحب البلايا بالصبر، وصحب الأوامر بالامتثال والنواهى بالانزجار والطاعة بالإخلاص، فقد صحب الله تعالى، فإذا تمكنت الصحبة كانت خلة.

إياك أن تقول ذهب الخير وانطوى بساطه فلسنا نريد من يقنط الناس من رحمة الله ويؤيسهم منه تعالى، ففى زبور داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. [أرحم ما أكون بعبدى إذا أعرض عنى، فرب مطيع هلك بالعجب، ورب مذنب غفر له بسبب كسر قلبه].

عن الشيخ مكين الدين الأسمر أنه قال: رأيت بالإسكندرية عبداً مع سيده وعليهما لواء قد أطبق ما بين السماء والأرض.

فقلت يا ترى هذا اللواء للسيد أم العبد. فتبعتهما حتى اشترى له سيده حاجة وفارقه، فلما ذهب العبد ذهب اللواء معه.

فعلمت أنه ولى من أولياء الله تعالى، فجئت إلى سيده وقلت له اتبيعنى هذا العبد فقال لماذا ؟ فما زال بى حتى ذكرت له أمره فقال لى:

يا سيدى الذى تطلبه أنت أنا أولى به وأعتقه وكان ولياً كبيراً.

فمنهم من يعرف الأولياء بالشم من غير وجود طيب ومنهم من يعرف بالذوق إذا رأى ولياً ذاق طعم الحلاوة فى فمه.

وإذا رأى صاحب قطيعة ذاق طعم المرارة فى فمه، من لم يترك المحرمات، لم ينفعه القيام بالواجبات، من لم يحتم لم ينفعه الدواء، ما أقل بركة مال وقعت فيه أيدى الناهين. فهذا والله عمر الغافلين منهوب.

مثال الدنيا كعجوز جذماء برصاء سترت بثوب حرير، فالمؤمن نافر ومنفر عنها لانكشافها له. وما لبس أحد لباساً أنتن من لباس الدعوى، بأن يقول فى المخاصمة أنت مثلى ؟ وأنت لا يصلح لك أن تكلمنى ومن أنت حتى أكلمك ؟ فأول من أهلك بذلك إبليس.

فإياك وهذا ولو كان أعرج أجذم أجرب فلا تحقره لحرمة لا إله إلا الله فى قلبه، وحسن ظنك بكل أحد تفلح.

أتحسب أن حسن الخلق هو أن يكون الإنسان حسن الملتقى، أو من أكرم الناس وضيع حقوق الله ليس هذا بخلق حسن، بل لا تكون ممدوحاً بحسن الخلق، حتى تكون قائماً بحقوق الله تعالى، وقائماً بأحكامه مستسلماً لأوامر الله مجتنباً لنواهيه.

فمن منع نفسه معاصى الله وأدى حقوق الله فقد حسن خلقه، ما سلط الله عليك ألسنة العباد إلا لترجع إليه، لا تزال لك قيمة عند الله حتى تعصى فإذا عصيت فلا قيمة لك.

التقوى

التقوى هى ترك معصية الله حيث كنت لا يراك أحد، كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا شرب الماء قال: الحمد لله الذى جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا وهو صلى الله عليه وسلم مقدس عن الذنوب ولكن تواضعاً منه وتعليماً، وكان يمكنه أن يقول: بذنوبكم.

وما أكل صلى الله عليه وسلم ولا شرب إلا ليعلمنا الأدب وإلا فكان عليه الصلاة والسلام يطعم ويسقى، فالعارف ينكس رأسه إذا شرب وربما تقطر عيناه بالدموع ويقول هذا تودد من الله تعالى.

كان بعضهم لا يخرج لصلاة الجماعة لما يعرض له فى طريقه.

منهم مالك ابن أنس رضى الله عنه، لأن الجماعة ربح، والربح لا يحسب إلا بعد الإحاطة على رأس المال، ليس السباع فى البرية بل السباع فى الأسواق والطريق، وهى التى تنهش القلوب نهشاً.

مثال من يكثر الذنوب والاستغفار كمثل من يكثر شرب السم ويكثر استعمال الترياق فيقال له قد لا تصل إلى الترياق مرة فيهجم عليك الموت قبل الوصول إليه، من مرض قلبه منع أن يلبس لباس التقوى.

فلو صح قلبك من مرض الهوى والشهوة، تحملت أثقال التقوى، فمن لم يجد حلاوة الطاعة دل على مرض قلبه من الشهوة وقد سمى الله تعالى الشهوة مرضاً بقوله تعالى:﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [1]. ولك فى علاجه طريقان:

استعمال ما هو لك نافع وهو الطاعة، واجتناب ما هو لك مضر وهو المعصية.

---

(1) سورة الأحزاب: آية رقم: 22.

فإن فعلت ذنباً فأعقبته بالتوبة والندم والانكسار والإنابة كان ذلك سبب وصلتك به.

وإن فعلت طاعة فأعقبتها بالعجب والكبر، كان ذلك سبباً للقطعية عنه.

عجباً لك كيف تطلب صلاح قلبك وجوارحك تفعل ما شئت من المحرمات كالنظر والغيبة والنميمة وغير ذلك، فمثالك كمن يتداوى بالسم أو كمن أراد تنظيف ثوبه بالسواد.

فعليك بالخلوة والعزلة، فمن كانت العزلة دأبه كان، فمن صدقت عزلته ظفر بمواهب الحق له بالمنن وعلامتها كشف الغطاء وإحياء القلب وتحقيق المحبة.

فعليك بحسن العمل لا بكثرته، كثرة العمل مع عدم الحسن فيه، كالثياب الكثيرة الوضيعة الثمن وقلة العمل مع حسنه كالثياب القليلة الرفيعة الثمن، كالياقوتة صغير جرمها كثير ثمنها.

فمن أشغل قلبه بالله وعالجه مما يطرأ عليه من الهوى كان أفضل ممن يكثر من الصلاة والصوم.

مثال من صلى الصلاة بغير حضور قلب، كان كمن أهدى للملك مائة صندوق فارغة فيستحق العقوبة من الملك يذكره عليها دائماً.

ومن صلاها بحضور القلب كان كمن أهدى له يا قوتة تساوى ألف دينار، فإن الملك يذكره عليها دائماً.

إذا دخلت فى الصلاة فإنك تناجى الله سبحانه وتعالى وتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم لأنك تقول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته.

ولا يقال أيها الرجل عند العرب إلا لمن يكون حاضرا.

ركعتان بالليل خير من ألف بالنهار، وأنت تصلى فيه ركعتين إلا لتجد ذلك فى ميزانك، وهل تشترى عبداً إلا للخدمة.

هل رأيت عبــداً يشترى ليأكل وينام؟ ما أنت إلا عبد اشتريت،قال الله تعــالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [1].

من لم يلزم نفسه لزمته، ومن لم يطالبها طالبته، فلو جعلت عليها الأثقال بالطاعة ما طالبت بالمعصية.

ولما كانت تتفرغ لها، وهل رأيت الصالحين والعباد يتفرجون فى الأعياد.

من شغل نفسه بالفرح والمباحات، شغل عن قيام الليل، فيقال له شغلت نفسك عنا فشغلناك عن عبادتنا، ركعتان فى جوف الليل أثقل عليك من جبل أحد، فأعضاء يبست عن الطاعة، لا تصلح إلا للقطع.

فإن الشجرة إذا يبست لا تصلح إلا للنار، من أحب الدنيا بقلبه كان كمن بنى بناء حسناً فوقه مرحاض فرشح عليه، فلا يزال كذلك حتى يرى ظاهره كباطنه.

ومنهم من ينقيه فلا يزال قلبه أبيض، وتنقيته بالتوبة والأذكار والندم والاستغفار.

كذلك أنت فى حضرة الله ملوث بمعصيتك تأكل الحرام وتنظر المحرم،فمن يفعل المخالفات والشهوات يظلم قلبه، فإن لم تتب فى حال الصحة ربما ابتلاك بالأمراض والمحن، حتى تخرج نقياً من الذنوب كالثوب إذا غسل، فأصقل مرآة قلبك بالخلوة والذكر حتى تلقى الله تعالى.

وليكن قلبك ذاكراً فينبع لك الأنوار، ولا تكن كمن يريد أن يحفر بئراً فيحفر ذراعاً هنا وذراعاً هنا، فلا ينبع له ماء أبداً، بل أحفر فى مكان واحد فينبع لك الماء.

(1) سورة التوبة: آية رقم: 111.

يا عبد الله دينك هو رأس مالك. فإن ضيعت رأس مالك فاشتغل لسانك بذكره، وقلبك بمحبته وجوارحك بخدمته، وأحرث وجودك بالمحارث حتى يجئ البذر فينبت، ومن فعل لقلبه كما يفعل الفلاح بأرضه أنار قلبه.

مثالك: مثال رجلين اشتريا أرضاً قياساً واحداً فأخذها الواحد فنقاها من الشوك والحشيش، وأجرى بها الماء وبذرها، فنبتت وجنى منها وانتفع بها.

فهذا كمن نشأ فى الطاعة قد أشرقت أنوار قلبه .

وأما الآخر: فإنه أهملها، حتى نبت فيها الشوك والحشيش وبقيت مأوى للأفاعى والحيات، فهذا قد أظلم قلبه بالمعاصى.

إذا حضرت المجلس وخرجت إلى المخالفات و الغفلات فإياك تقول ماذا يفيد الحضور بل احضر، يكون بك مرض أربعين سنة فتريد أن يذهب عنك فى ساعة واحدة أو فى يوم واحد.

فمثاله كرمل رمى فى موضع أربعين عاماً أفتريد أن يزول فى ساعة واحدة أو فى يوم واحد فمن فعل المعاصى وتقلب فى الحرام لو انغمس فى سبعة أبحر لم تطهره، حتى يعقد مع الله عقدة التوبة.

للظاهر جنابة تمنعك من دخول بيته وتلاوة كتابه.

وللباطن جنابة تمنعك من دخول حضرته وفهم كلامه وهى الغفلة، فإذا طلبت النفس الشهوات فألجمها بلجام الشرع فمثالها كالدابة إذ مالت لزرع غيرك.

فأغمض الأبصار عن ميلها إلى المستحسنات، والقلوب عن ميلها إلى الشهوات، وليكن قلبك معموراً لا يصلح لها على الدوام.

والحق سبحانه وتعالى اختار لحضرته من يصلح لها ومن رماد الكائنات فمثالها كالعبيد يعرضون على الملك فمن أخذه الملك أعزه، ومن لا يصلح بقى للرعية،

ما أتيت لمواطن حكمه أو معصية إلا وفى عنقك سلسلة نورانية أو ظلمانية فإن كنت لا تشهدها، أنت فغيرك يشهدها.

ألا ترى أن الشمس يشهدها الناس أجمعون إلا من كان أعمى.

ما فائدة العلم إلا العمل به. مثاله كملك كتب إلى نائبه كتاباً، فما فائدة الكتاب أن تقرأه فقط، إنما فائدته العمل به، مثال من يشتغل بالعلم وليس له بصيرة كمثل مائة ألف أعمى سلكوا طريقاً متحيرين فيها، فلو كان فيهم واحد بعين واحدة، لتبعه الناس أجمعون، وتركوا مائة ألف أعمى.

ومثال العلم مع ترك العمل كالشمعة تضئ للناس بإحراق نفسها.

علم فيه الغفلة عن الله الجهل خير منه، فمن أثمرت جوارحه فقد أمطر قلبه ولسانه بالذكر، وعينيه بالغض وأذنيه بالاستماع إلى العلم ويديه ورجليه بالسعى إلى الخيرات.

من أكثر من مجالسة أهل هذا الزمان، فقد تعرض لمعصية الله تعالى.

مثال كمن جعل الحطب اليابس فى النار ويريد أن لا تتقد، فقد أراد محالاً لأنه قد ورد. خص بالبلاء من عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفهم.

فربما جالست غير متق، وكنت أنت متقياً فجرك إلى الغيبة وقهرك فى نفسك.

ما خرب القلوب إلا قلة الخوف، القلب الحسن هو الذى لا يشغله عن الله حسن، إن أردت شفاء قلبك فاخرج إلى صحراء التوبة وحول حالك من الغيبة إلى الحضور، والبس ثياب الذلة والمسكنة.

فإن القلب يشفى، ولكنك تحشر بطنك وتتفاخر بالسمن، فمثالك كالخروف الذى يسمن للذبح، ألا فقد ذبحت نفسك وأنت لا تشعر. لا يفتك مجلس الحكمة ولو كنت على معصية، فلا تقل ما الفائدة فى سماع المجلس ولا أقدر على ترك المعصية، بل على الرامى أن يرمى.

فإن لم يأخذ اليوم يأخذ غداً ولو كنت كيساً فطناً لكانت حقوق الله عنك أحظى من حظوظ نفسك.

ما يطلع على الأسرار إلا أمين وأنت تعطى نفسك حظها من المآكل والمشارب، حتى تملأ بيت الخلاء، أو يكفيك حب الدنيا.

العقلاء

ومن أحب الدنيا فقد خان، ومن خان فهل يطلعه الملك على أسراره، فاستعمل الأفكار وعليه أنزل الأنوار.

ما نفع القلب شئ مثل خلوة يدخل بها ميدان فكرة.

كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته.

أم كيف يرحل إلى الله وهو منكب على شهواته.

أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته.

أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته.

أصل كل معصية وغفلة وسهو الرضا عن النفس.

وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها،لا ترحل من كون إلى كون فتكون كالحمار فى الرحى يسير والذى ارتحل إليه هو الذى ارتحل منه.

ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون وإن إلى ربك المنتهى.

إنما الأنوار مطايا القلوب والأسرار، والنور جند القلب، كما أن الظلمة جند النفس.

فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار، وقطع عنه مدد الظلم و الأغيار، النور له الكشف، والبصيرة لها الحكم، والقلب له الإقبال، والأدبار.

الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها، متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به.

الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة، يتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك إلى فضله فكثر إمدادها.

الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن أنت ذاماً لنفسك لما تعلم، فإن أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس، غيك نظر الخلق إليك، بنظر الله إليك ورغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك.

علم أن العباد يتشوقون إلى ظهور سر العناية، فقال ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء﴾[1].

وعلم أنه لو أخلاهم من ذلـــك، لتركوا العمل اعتمادا على الأزل فقال تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

إن أردت ورود المواهب عليك فصحح الفقر والفاقة إليك: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ﴾[3]. أنوار أذن لها فى الدخول وأنوار أذن لها فى الوصول، ربما وردت عليك الأنوار، فوجدت القلب محشواً بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت.

فرغ قلبك من الأغيار، تملأه بالمعارف والأسرار.

المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكراً وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا.

---

(1) سورة البقرة: آية رقم: 105.
(2) سورة الأعراف: آية رقم: 56.
(3) سورة التوبة: آية رقم: 60.

جعلك الله فى العالم الأوسط بين ملكه وملكوته، ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وإنك جوهرة انطوت عليها أصداف مكوناته، أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون، فإذا شهدته كانت الأكوان معك .

العاقل بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى، قد أشرق نوره وظهرت تباشيره، فصد عن هذه الدار مولياً، وأعرض عنها مغضباً، فلم يتخذها موطناً ولا جعلها سكناً، بل نهض فيها إلى الله تعالى، وسار إليه مستعيناً به فى القدوم عليه.

فما زالت مطية عزمه، لا يقر قرارها دائماً، تسيارها إلى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الأنس، محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والملاطفة وصارت الحضرة معشش قلوبهم، إليها يأوون وفيها يستوطنون.

فإن نزلوا إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فبالإذن والتمكين والرسوخ فى اليقين، فلم يترلوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة، ولا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة، بل دخلوا فى ذلك كله بالله ولله وإلى الله.

فإياك يا أخى أن تصغى إلى الواقعين فى هذه الطائفة، لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله.

فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء ومراقبة الأنفاس، مع الله قد سلموا قيادهم إليه، وألقوا أنفسهم سلماً بين يديه، وتركوا الانتصار لأنفسهم حياء من ربهم.

فكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم.

ولقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخلق، خصوصاً ولا سيما أهل العلم فقل أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولى معين، بل يقول لك نعم إن الأولياء موجودون، ولكن أين هم؟

فلا يذكر له أحد إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه، طلق اللسان بالاحتجاج عارياً من التصديق، فأحذر ممن هذا وصفه وفر منه فرارك من الأسد.

قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه: ليس الفقيه من فقأ الحجاب عن عينى قلبه، وإنما الفقيه من فهم سر الإيجاد وأنه ما أوجده إلا لطاعته، ولا خلقه إلا لخدمته.

فإذا فهم هذا كان هذا الفقه منه سبباً لزهده فى الدنيا وإقباله على الآخرة، وإهماله لحظوظ نفسه واشتغاله بحقوق سيده، مفكراً فى المعاد قائماً بالاستعداد .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير» والمؤمن القوى هو الذى أشرق فى قلبه نور اليقين.

قال الله تعالى:﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[1]. سبقوا إلى الله فخلص قلوبهم مما سواه فلم تعقهم العوائق، ولم تشغلهم عن الله الخلائق، فسبقوا إلى الله إذ لا مانع لهم.

وإنما منع العباد من السبق جواذب التعلق بغير الله، فكلما همت قلوبهم أن ترحل إلى الله سبحانه وتعالى جذبه ذلك التعلق الذى به تعلقت فكرت راجعة إليه ومقبلة عليه.

فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة على من هذا نعته وافهم ههنا قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[2]. هو الذى لا تعلق له بشىء غير الله تعالى. وقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[3].

---

(1) سورة الواقعة: الآيات رقم: 10-12.
(2) سورة الشعراء: آية رقم: 88، 89.
(3) سورة الأنعام: آية رقم: 94.

يفهم منه أنه لا يصلح مجيئك إلى الله، ولا الوصول إليه إلا إذا كنت فرداً مما سواه وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾[1]. يفهم منه أنه لا يأويك الله إلا إذا صح يتمك مما سواه.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وتر يحب الوتر» أى يحب القلب الذى لا يشفع بمثنيات الآثار.

فكانت هذه القلوب لله و بالله فهم أهل الحضرة المخاطبون بعين المنة، فكيف يمكنهم أن يكونوا لسواه مستندين، وهم لوجود الأحدية مشاهدون.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: قوى على الشهود فسألته أن يستر على ذلك.

فقيل لى لو سألته بما سأله موسى كليمه، و عيسى روحه، ومحمد حبيبه وصفيه صلى الله عليه وسلم لم يفعل.

ولكن سله أن يقويك، فسألته فقوانى.

فأهل الفهم أخذوا عن الله وتوكلوا عليه، فكانوا بمعونته لهم فكفاهم ما أهمهم، وصرف عنهم ما أغمهم،واشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم، علماً منهم بأنه لا يكلهم إلى غيره، ولا يمنعهم من فضله.

فدخلوا فى الراحة، وقفوا فى جنة التسليم ولذاذة التفويض، فرفع الله بذلك مقدارهم وكمل أنوارهم.

واعلم ــ رحمك الله تعالى ــ إن العلم حيث ما تكرر فى الكتاب العزيز أو فى السنة المطهرة إنما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية، وتكتنفه المخافة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2].

فبين أن العلم تلازمه الخشية فالعلماء هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾[3].

---

(1) سورة الضحى: آية رقم: 6.
(2) سورة فاطر: آية رقم: 28.
(3) سورة الإسراء: آية رقم: 107.

وقوله تعالى: ﴿ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي ﴾[2].
وقوله صلى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء».

إنما المراد بالعلم فى هذه المواطن كلها العلم النافع، القاهر للهوى القامع للنفس، وذلك متعين بالضرورة لأن كلام الله تعالى، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل من أن يحمل على غير هذا العلم النافع وهو الذى يستعان به على الطاعة، ويلزم الخشية من الله تعالى.

والوقوف على حدود الله تعالى، وهو علم المعرفة بالله تعالى ولكن من استرسل بإطلاق التوحيد ولم يتقيد بظواهر الشريعة، فقد قذف به فى بحر الزندقة.

ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيداً، وبالشريعة مقيداً، وكذلك المحق فلا يكون منطلقاً مع الحقيقة، ولا واقفاً مع ظاهر إسناد الشريعة، وكان بين ذلك قواماً، فالوقوف مع ظاهر الإسناد شرك، والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل، ومقام الهداية فيما بين ذلك.

وكل علم تسبق إليك فيه الحواجز، وتتبعها الصور وتميل إليه النفس و تلتذ به الطبيعة، فارم به وإن كان حقاً.

وخذ بعلم الله الذى أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتد به وبالخلفاء من بعده وبالصحابة والتابعين من بعدهم.

وبالهداة إلى الله تعالى الأئمة المبرئين من الهوى، ومتابعتهم تسلم من الشكوك والظنون والأوهام، والوساوس والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه.

وحسبك من العلم النافع العلم بالوحدانية ومن العلم محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الصحابة، واعتقاد الحق للجماعة.

---

(1) سورة آل عمران: آية رقم: 7.
(2) سورة طه : آية رقم: 114.

وإذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة إلا من يدلك على الله تعالى.

إما بإشارة صادقة أو بأعمال ثابتة، لا ينقضها كتاب ولا سنة، فارفع همتك إلى مولاك واشتغل به دون غيره.

سمعت الشيخ أبا العباس المرسى يقول: أو الله ما رأيت العز إلا فى رفع الهمة عن الخلق، واذكر رحمك الله ههنا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] . فمن العز الذى أعز الله به المؤمن، رفع همته إلى مولاه وثقته به دون ما سواه.

واستح من الله بعد أن يكون كساك حلة الإيمان، وزينك بزينة العرفان، أن تستولى عليك الغفلة والنسيان حتى تميل إلى الأكوان، أو تطلب من غير وجود الإحسان .

وقبيح بالمؤمن أن يترل حاجته بغير مولاه، مع علمه بوحـــدانيته وانفــراده بربوبيته ، وهو يسمع قولـــــه تعالى:﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[2].

وليذكر قوله﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾[3]. ومن العقود التى عاقدته عليها أن لا ترفع حوائجك إلا إليه، ولا تتوكل إلا عليه، ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾[4]. فيظهر الصادق بصدقه والمدعى بكذبه، وقد ابتلى الله تعالى بحكمته ووجود منته، الفقراء الذين ليسوا بصادقين، بإظهار ما كمنوه من الرغبة وأسروه من الشهوة.

---

(1) سورة المنافقون: آية رقم: 8.
(2) سورة الزمر: آية رقم: 36.
(3) سورة المائدة: آية رقم: 1.
(4) سورة الرحمن: آية رقم: 9.

فابتذلوا أنفسهم لأبناء الدنيا مباسطين لهم، موافقين لهم على مآربهم، مدفوعين على أبوابهم، فترى الواحد منهم يتزين كما تتزين العروس، معتنون بإصلاح ظواهر، وهم غافلون عن إصلاح سرائرهم.

ولقد وسمهم الحق وسمة كشف بها عوارهم، وأظهر أخبارهم، فبعد أن كانت نسبتهم مع الله لو أن صدقوا مع الله أن يقال له عبد الكبير.

فأخرج عن هذه النسبة فصار يقال له شيخ الأمير، أولئك الكاذبون على الله تعالى الصادون العباد عن صحبة أولياء الله.

ما يشهده العوام منهم يحملونه على كل منتسب إلى الله صادق وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق، وسحب شمس أهل التوفيق، ضربوا طبولهم ونشروا أعلامهم ولبسوا دروعهم.

فإذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين، ألسنتهم منطلقة بالدعوى،وقلوبهم خالية من التقوى، ألم يسمعوا قوله سبحانه وتعالى:

﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [1]. أترى إذا سأل الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال، ألم يسمعوا قوله تعالى:﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

فهم في إظهار زي الصادقين وعملهم عمل المعرضين، قال الله تعالى: ﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [3].

فاعلم أن باب الرزق طاعة الرازق، فكيف يطلب منه بمعصيته، أم كيف يستمر فضله بمخالفته، وقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «لا ينال ما عند الله بسخطه» أي لا يطلب رزقه إلا برضاه، وقد قال تعالى مبيناً لذلك بقوله: ﴿ وَيَرْزُقْهُ

---

(1) سورة الأحزاب: آية رقم: 8.
(2) سورة التوبة: آية رقم: 105.
(3) سورة البقرة: آية رقم: 189.

مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[1].

ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس رضى الله تعالى عنه فى حزبه: لما قال وأعطنا كذا وكذا قال والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا، ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه فى الآخرة.

على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع.

واحذر من التدبير مع الله، فمثال المدبر مع الله بعبد أرسله السيد إلى بلد ليصنع له ثياباً فدخل العبد تلك البلدة فقال أين أسكن ومن أتزوج؟

فاشتغل بذلك وصرف همته لما هنالك وعطل ما أمره السيد به حتى دعاه إليه فجزاؤه من السيد أن جازاه القطيعة، ووجود الحجبة اشتغاله بأمر نفسه عن حق سيده.

كذلك أنت أيها المؤمن أخرجك الحق إلى هذه الدار وأمرك فيها بخدمته وقام لك بوجود التدبير منة لك.

فإن اشتغلت فيها بتدبير نفسك عن حق سيدك فقد عدلت عن سبيل الهدى، وسلكت مسالك الردى.

ومثال المدبر مع الله كعبدين للملك أما أحدهما فمشتغل بأوامر سيده لا يلتفت إلى ملبس ولا مأكل، بل إنما همته خدمة السيد فأشغله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه.

وأما العبد الآخر فكيفما طلبه سيده وجده يغسل ثيابه وفى سياسة مركوبه وتحسين زيه، فالعبد الأول أولى بإقبال سيده من العبد الثانى، والعبد إنما اشترى للسيد لا لنفسه، كذلك العبد البصير الموفق لا تراه إلا مشغولاً بحقوق الله، وامتثال أوامره عن محاب نفسه ومهماتها.

---

(1) سورة الطلاق: آية رقم: 3.

فلما كان كذلك قام له الحق سبحانه وتعالى بكل أوامره وتوجه له بجزيل عطائه لصدقه فى توكله، لقوله تعالى: ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[1].

والغافل ليس كذلك لا تجده إلا فى تحصيل دنياه، وفى الأشياء التى توصله إلى هواه، ومثال العبد مع الله فى هذه الدار كالطفل مع أمه، ولم تكن الأم لتدع تدبير ولدها فى كفالتها وأن تخرجه من رعايتها، كذلك المؤمن مع الله قائم له بحسن الكفالة، فهو سائق إليه المنن ودافع عنه المحن.

ومثال العبد فى الدنيا كمثل عبد قال له السيد اذهب إلى أرض كذا وكذا وأحكم أمرك أن تسافر منها فى برية كذا وكذا وخذ أهبتك وعدتك فإذا أذن له السيد فى ذلك فمعلوم أنه قد أباح له أن يأكل ما يستعين به على إقامة بنيته، ليسعى فى طلب العدة وليقوم بوجود الأهبة.

كذلك العبد مع الله أوجده فى هذه الدار وأمره أن يتزود منها لمعاده فقال تعالى:﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[2].

فمعلوم أنه إذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح أن يأخذ من الدنيا ما يستعين به على تزوده إلى الآخرة، واستعداده وتأهبه لمعاده، ومثال العبد مع الله كمثل أجير أتى به ملك إلى داره وأمره أن يعمل عملاً.

فما كان الملك ليأتى بالأجير ويستخدمه فى داره ويتركه من غير تغذية. إذ هو أكرم من ذلك، فكذلك العبد مع الله فالدنيا دار الله والأجير هو أنت والعمل هو الطاعة والأجرة هى الجنة.

ولم يكن الله ليأمرك بالعمل ولا يسوق لك ما به تستعين عليه إلا لخيرك.

ومثال العبد مع الله تعالى كمثل عبد أمره الملك أن يقيم فى أرض كذا ويحارب فيها العدو و يجاهده فيها.

---

(1) سورة الطلاق : آية رقم: 3.

(2) سورة البقرة : آية رقم: 197.

فمعلوم أنه إذا أمره بذلك أباح له أن يأكل من مخازن تلك الأرض بالأمانة ليستعين به على محاربة العدو.

وكذلك العباد أمرهم الحق سبحانه وتعالى بمحاربة النفس والشيطان ومجاهدتهما، لقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [2]. فلما أمر العبد بمحاربته أذن له أن يتناول من منابت أرضه، ما يستعين به على محاربة الشيطان، إذ لو تركت المآكل والمشرب، لم يمكنك أن تقوم بطاعته ولا أن تنهض لخدمته.

ومثال العبد مع الله كمثل ملك له عبد، فبنى داراً وبهجها وحسنها وتولى غراسها، وكمل المشتهيات فيها فى غير الموطن الذى فيه العبيد، وهو يريد أن ينقلهم إليها.

أترى إذا كانت هذه عنايته بهم، فيما ادخر لهم عنده، وهيأه لهم بعد الرحلة أيمنعهم هنها أن يتناولوا من منه وفضلات طعامه، وقد هيأ الأمر العظيم والفضل الجسيم.

كذلك العباد مع الله جعلهم فى الدنيا وهيأ لهم الجنة، فلا يريد أن يمنعهم من الدنيا، ولكن ما يقيم به وجودهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [4] وإذا ادخر الباقى ومن عليك به، لا يمنعك الفانى، فإنما يمنعك ما لم يقسمه لك، وما لم يقسمه لك فليس لك .

---

(1) سورة الحج: آية رقم: 78.
(2) سورة فاطر: آية رقم: 6.
(3) سورة المؤمنون: آية رقم: 51.
(4) سورة البقرة: آية رقم: 172.

ومثال المهموم بأمر دنياه الغافل عن التزود لأخراه، كمثل إنسان جاءه سبع وهو يريد أن يفترسه، ووقع عليه ذباب فاشتغل بذب الذباب ودفعه عن التحرز من السبع، والحق أن هذا عبد أحمق فاقد وجود العقل، ولو كان متصفاً بالعقل لشغله أمر الأسد وصولته وهجومه عليه، عن الفكرة فى الذباب.

كذلك المهتم بأمر دنياه عن التزود للآخرة دل ذلك منه على وجود حمقه إذ لو كان فاهما عاقلاً لتأهب للدار الآخرة التى هو مسئول عنها.وموقوف عليها، فلا يشتغل بأمر الرزق، فإن الاهتمام به بالنسبة للآخرة نسبة الذباب إلى مفاجأة الأسد وهجومه.

ومثال المدخر للأمانة، كعبد الملك لا يرى أن له مع سيده شيئاً، ولا يعتمد على ادخار ما فى يده ولا بد له منه، بل على ما يختاره السيد له.

فإذا فهم هذا العبد أن الإمساك مراد السيد أمسك لسيده لا لنفسه، حتى يتخير موضع صرفه، فيكون له صارفاً حين يفهم من سيده إرادة صرفه، فهذا بإمساكه غير ملوم، لأنه أمسك لسيده لا لنفسه.

كذلك أهل المعرفة بالله إن بذلوا ففيه، وإن أمسكوا فله يبتغون ما فيه رضاه، لا يريدون ببذلهم وإمساكهم إلا إياه، فهم خزان أمناء، وعبيد كبراء وأبرار كرماء، قد حررهم الحق من رق الآثار.

فلم يميلوا إليها بحب، ولم يقبلوا عليها بود، منعهم من ذلك ما أسكنه فى قلوبهم من حب الله ووده، وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده فصارت الأشياء فى أيديهم كهى فى خزائن الله من قبل أن تصل إليهم، علماً منهم بأن الله تعالى يملكهم ويملك ما ملكهم.

وهو أن من خرج من تدبيره لنفسه كان الله هو المتولى بحسن التدبير له والتدبير على قسمين.

تدبير محمود، وتدبير مذموم .

فالتدبير المذموم، وهو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها ليس لله فيه شئ كالتدبير فى تحصيل معصية، أو فى حظ بوجود غفلة أو طاعة بوجود رياء حجاباً.

ومن عرف نعمة العقل استحى من الله سبحانه أن يصرف عقله إلى تدبير ما لا يوصله إلى قربه، ولا يكون سبباً لوجود حبه، والعقل أفضل ما من الله به على عباده، لأنه سبحانه خلق الموجودات ـــ وتفضل عليها بالإيجاد ودوام الإمداد.

فاشتركت الموجودات فى إيجاده وإمداده، فلما اشتركت أراد الحق سبحانه أن يميز الآدمى عنهم، فأعطاه العقل وأيده به، وفضله بذلك على الحيوان، وأكمل به نعمته على الإنسان وبالعقل و وفوره وإشرافه ونوره تتم مصالح الدنيا والآخرة.

فصرف نعمة العقل إلى تدبير الدنيا التى لا قدر لها عند الله تعالى كفر لنعمة العقل، وتوجهه إلى الاهتمام بإصلاح شأنه فى معاده قياماً بشكر المحسن إليه، والمفيض من نوره عليه أحق به وأحرى، وأفضل له وأولى.

فلا تصرف عقلك الذى من الله به عليك فى تدبير الدنيا التى هى كما أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «الدنيا جيفة قذرة» كما قال للضحاك: ما طعامك؟ قال اللحم واللبن. قال ثم يعودان إلى ماذا؟ قال إلى ما قد علمت يا رسول الله.

قال فإن الله قد جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا.

والتدبير المحمود هو ما كان تدبيراً إلى ما يقربك إلى الله سبحانه وتعالى، كالتدبير فى براءة الذمة من حقوق المخلوقين.

إما وفاء وإما استحلالا، وتصحيح التوبة إلى رب العالمين، والفكرة فيما يؤدى إلى قمع الهوى المردى والشيطان المغوى، فهذا كله محمود لا شك فيه .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فكر ساعة خير من عبادة سبعين عاما» والتدبير للدنيا على قسمين:

تدبير الدنيا للدنيا.

وتدبير الدنيا للآخرة.

فتدبير الدنيا للدنيا، هو أن يدبر فى أسباب جمعها افتخاراً بها واستكثاراً لها، وكلما زيد فيها شئ ازداد غفلة واغتراراً.

فأمارة ذلك أن تشغله عن الموافقة وتؤديه إلى المخالفة، وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجر ليأكل منها حلالا، أو لينعم بها على ذى الفاقة أفضالاً، وليصون بها نفسه عن الناس إجمالاً.

فأمارة ذلك عدم الاستكثار والادخار والإسعاف والإيثار، فقد تبين من هذا أنه ليس كل طالب للدنيا مذموماً، بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه، ولدنياه لا لأخرته.

فالناس إذاً على قسمين:

عبد طلب الدنيا للدنيا.

وعبد طلب الدنيا للآخرة.

وسمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله عنه يقول: العارف لا دنيا له ولا آخرة لأن دنياه لآخرته، وآخرته لربه وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة والسلف رضى الله عنهم أجمعين.

فكلما دخلوا فيه من الأسباب فهم بذلك إلى الله متقربون، ولرضاه منتسبون، لا يقصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذاها، ولهذا وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾[1].

وما ظنك بقوم يحبهم الله واختارهم رسوله صلى الله عليه وسلم ولمواجهة خطابه فى تنزيله.

فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة فى عنقه منن لا تحصى وأيادى لا تنسى، لأهم هم الذين حملوا إلينا عن النبى صلى الله عليه وسلم الحكم والأحكام، وبينوا الحلال من الحرام والخاص والعام، وفتحوا الأقاليم والبلاد، وقهروا أهل الشرك والعناد، وبحق قوله صلى الله عليه وسلم:

صلاة وسلاماً دائماً أبداً «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم واهتديتم».

وقـــد وصفهـــم الله فى الآية الكريمة بأوصاف إلى أن قال:﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [2]. دل ذلك من قوله سبحانه وتعالى، إهم ما ابتغوا بما حملوه من الدنيا ولم يقصدوا بذلك إلا وجهه الكريم وفضله العظيم.

وقال سبحانه وتعالى فى آية أخرى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [3] الآية ولم ينف عنهم الأسباب، ولا التجارة ولا البيع ولا الشراء فلا يخرجهم عن المدحة غناهم إذا قاموا بحقوق مولاهم.

قال عبد الله بن عقبة كان لعثمان بن عفان رضى الله عند خازنه يوم قتل، زنة مائة ألف وخمسمائة دينار، وألف ألف درهم، وترك ألف فرس وألف مملوك وخلف ضياعاً، بئر أريس وخيبر ووادى القرى ما قيمته مائتا ألف دينار.

---

(1) سورة الفتح : آية رقم: 29.
(2) سورة الحشر: آية رقم: 8.
(3) سورة النور: آية رقم: 36.

وخلف عمرو بن العاص رضى الله عنه ثلثمائة ألف دينار، وبلغ مال الزبير بن العوام خمسين ألف دينار وترك ألف فرس وألف مملوك، وغنى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أشهر من أن يذكر.

وكانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم، صبروا عنها حين فقدت، وشكروا الله حين وجدت، وإنما ابتلاهم الله بالفاقة فى أول أمرهم حتى كملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم فبذلها لهم حينئذ لأنهم لو أعطوا منها قبل ذلك لعلها كانت تأخذ منهم.

فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ فى اليقين، تصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين وامتثلوا فيها قول رب العالمين : ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1].

فكانت الدنيا فى أيدى الصحابة لا فى قلوبهم، ويكفيك فى ذلك خروج عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن نصف ماله.

وخروج أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن ماله كله. وخروج عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن سبعمائة بعير موقورة بالأحمال، وتجهيز عثمان بن عفان رضى الله عنه جيش العسرة إلى غير ذلك من حسن أفعالهم، وسنى أحوالهم رضى الله عنهم أجمعين رضاء دائماً أبداً.

فتضمنت الآيات التزكية لظواهرهم وسرائرهم، وإثبات محامدهم ومفاخرهم.

فقد تبين من هذا أن التدبير على قسمين:

تدبير الدنيا للدنيا، كما هو حال القطيعة اللئام الغافلين.

وتدبير الدنيا للآخرة كحال الصحابة الأكرمين والسلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجعلنا ممن اقتدى بهم آمين، بل ألف ألف آمين.

---

(1) سورة الحديد: آية رقم: 7.

أيـها الـعبد

(فصل) نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على لسان هواتف الحقائق فى شأن التدبير والرزق.

أيها العبد ألق سمعك وأنت شهيد، يأتك منى المزيد، واصغ بسمعك فأنا لست عنك ببعيد، كنت بتدبيرى لك قبل أن تكون لنفسك، فكن لنفسك بأن لا تكون لها وتوليت رعايتها قبل ظهورها وأنا الآن على الرعاية لها.

أنا المتفرد بالخلق والتصوير، وأنا المنفرد بالحكم والتدبير، لم تشاركنى فى خلقى وتصويرى، فلا تشاركنى فى حكمتى وحكمى وتدبيرى، أنا المدبر لملكى وليس لى فيه ظهير، وأنا المنفرد بحكمتى فلا أحتاج إلى وزير.

أيها العبد من كان لك بتدبيره قبل الإيجاد فلا تشاركه فى المراد، ومن عودك حسن النظر منه إليك، فلا تقابله بالعناد.

عودتك حسن النظر منى لك فعودنى إسقاط التدبير منك معى، أشكا بعد وجود التجربة، وحيرة بعد وجود البيان، وضلالاً بعد وضوح الهدى، وقد سلمت لى قيامى بملكى وأنت من مملكتى، فلا تنازع ربوبيتى ولا تضادد بتدبيرك مع وجود ألوهيتى متى أحوجتك إليك حتى نحتال عليك، متى وكلت شيئاً من مملكتى لغيرى حتى أكل ذلك إليك، متى خاب من كنت له مدبراً، ومتى خذل من كنت له ناصراً.

أيها العبد لتشغلك خدمتى عن طلب قسمتى، وليمنعك حسن الظن بى عن اتهام ربوبيتى، لا ينبغى أن يتهم محسن ولا أن ينازع مقتدر، ولا أن يضاد قهار، ولا أن يعترض على حكيم، ولا أن يعال هم مع لطيف.

لقد فاز بالنجح من خرج عن الإرادة معى، ولقد دلك على تسيير الأمور من احتال على، ولقد استوجب النصر منى، عبداً إذا تحرك يتحرك بى، ولقد استمسك بأقوى الأسباب من استمسك بسببى.

أيها العبد: نريد منك أن تريدنا، ولا تريد معنا، ونريد منك أن تختارنا ولا تختار معنا، ونرضى لك أن ترضانا ولا ترضى سوانا، وكما سلمت لى تدبيرى فى أرضى وسمائى، وانفرادى فيهما بحكمى وقضائى، سلم وجودك لى فإنك لى، ولا تدبر معى فإنك معى، واتخذنى وكيلاً وثق بى كفيلاً، أعطك عطاء جزيلاً وأهبك فخراً جليلاً.

ويحك إنا أجللنا قدرك أن نشغلك بأمر نفسك فلا تصغر قدرك، يا من رفعناه لا تذكر بحوالتك على غيرى، يا من أعززناه ويحك أنت عندنا أجل من أن نشغلك بغيرنا، لحضرتى خلقك وإليها خطبتك، و بجواذب عنايتى إليها جذبتك، فإن اشتغلت بنفسك حجبتك، وإن اتبعت هواها طردتك، وإن خرجت عنها قربتك، وإن توددت إلى بإعراضك عما سواى أحببتك.

أيها العبد: ما آمن بى من نازعنى ولا وحدنى من دبر معى، ولا رضى بى من شكى ما أنزلت به إلى غيرى، ولا اختارنى من اختار معى، ولا امتثل أمرى من لم يستسلم لقهرى، لو طلبت التدبير لنفسك لجهلت، فكيف إذا دبرت لها، ولو اخترت معى ما أنصفت فكيف إذا اخترت على.

أيها العبد يكفيك من جهل أن تسكن لما فى يدك ولا تسكن لما فى يدى أنا، أختار لك أن تختارنى، أفتختار على يا مهموماً بنفسه، لو ألقيتها إلينا لاسترحت. ويحك أعباء التدبير لا يحملها إلا الربوبية، وليس يقوى عليها ضعف البشرية، ويحك أنت محمول فلا تك حاملاً، أردنا راحتك فلا تكن لنفسك متعباً.

أيها العبد: أمرتك بخدمتى، وضمنت لك بقسمتى فأهملت ما أمرت،وشككت فيما ضمنت، ولم أكتف بقسمتى لك بالضمان حتى أقسمت ولم أكتف بالقسم، حتى مثلت فخاطبت عباداً يفهمون فقلت: ﴿ وَفِي

السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[1].

وقد رزقت من غفل عنى وعصانى، فكيف لا أرزق من أطاعنى ودعانى، ويحك الغارس للشجرة ساقيها، والممد للخليقة هو باريها، منى كان الإيجاد وعلى دوام الإمداد، منى كان الخلق وعلى دوام الرزق، أدخلك دارى، وأمنعك إبرارى، أأبرك لكونى وأمنعك وجود عينى، أأخرجك إلى وجودى وأمنعك جودى، لك هيأت منى، وفيك أظهرت رحمتى.

وما قنعت بالدنيا حتى ادخرت لك جنتى وما اكتفيت لك بذلك حتى أتحفتك برؤيتى، فإذا كانت هذه أفعالى فكيف تشك فى أفضالى، فاخترنى ولا تختر على، ووجه قلبك بالصدق إلى، فإن فعلت أريتك غرائب لطفى وبدائع جودى، وأمتع سرك بشهودى.

لقد ظهرت الطريق لأهل التحقيق وبنيت معالم الهدى لذوى التوفيق فبحق سلم إلى الموقنون، وببيان توكل على المؤمنون علموا أنى خير لهم من أنفسهم لأنفسهم وأن تدبيرى لهم أحرى من تدبيرهم لها، فأذعنوا لربوبيتى مستسلمين وطرحوا أنفسهم بين يدى مفوضين.

فعوضتهم عوض ذلك راحة فى نفوسهم ونوراً فى عقولهم ومعرفة فى قلوبهم وتحقيقاً بقربى فى أسرارهم، هذا فى هذه الدار ولهم عندى إذا قدموا على أن أجل منصبهم وأعلى محلهم، ولهم إذا أدخلتهم دارى، مالا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أيها العبد: الوقت الذى أنت تستقبله لم أطالبك فيه بالخدمة فلا تطالبنى فيه بالقسمة، فإذا كلفتك تكفلت لك، وإذا استخدمتك أطعمتك، وأعلم بأنى لا أنساك ولو نسيتنى، وإنى ذكرتك من قبل أن تذكرنى، وإن رزقى عليك دائم

(1) سورة الذاريات: آية رقم: 23.

وإن عصيتنى، فإذا كنت لك كذلك فى إعراضك عنى فكيف ترى أن أكون فى إقبالك على .

ما قدرتنى حق قدرى إن لم تستسلم لقهرى، ولا رعيت حق برى إن لم تمثل أمرى، فلا تعرض عنى فإنك لا تجد من تستبد له منى ولا تغتر بغيرى، فلا أحد يغنيك عنى، أنا الخالق لك بقدرتى وأنا الباسط لك منتى.

فكما أنه لا خالق غيرى، فكذلك لا رازق غيرى، أأخلق وأحيل على غيرى، فأنا المتفضل وأمنع العباد وجود خيرى، وأنا المنعم فثق أيها العبد وأنا رب العباد وأخرج من مرادك إلى، أبلغك عين المراد، وأذكر سوابق لطفى ولا تنس حق الوداد.

مناجاة

مناجاته رضى الله تعالى عنه: إلهى أنا الفقير فى غناى، فكيف لا أكون فقيراً فى فقرى، وأنا الجهول فى علمى فكيف لا أكون جهولاً فى جهلى، إلهى منى ما يليق بلؤمى ومنك ما يليق بكرمك، إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك، ولك المنة على، وإن ظهرت المساوئ منى فبعدلك ولك الحجة على.

إلهى كيف تكلنى وقد توكلت لى، وكيف أضام وأنت الناصر لى، أم كيف أخيب وأنت الحفى بى، ها أنا أتوسل إليك بفقرى، وكيف أتوسل بما هو محال أن يصل إليك، أم كيف أشكو إليك حالى وهو لا يخفى عليك كيف أترجم بمقالى وهو منك بروزاً إليك، أم كيف تخيب آمالى وهى قد وفدت عليك، أم كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت وإليك.

إلهى ما ألطفك بى مع جهلى، وما أرحمك بى مع قبيح فعلى، وما أقربك منى وما أبعدنى عنك وما أرأفك بى، فما الذى يحجبنى عنك.

إلهى كلما أخرسنى لؤمى، أنطقنى كرمك، وكلما أيأستنى أوصافى أطمعتنى مننك. إلهى من كانت محاسنه مساوى، فكيف لا تكون مساويه مساوى ومن كانت حقائقه دعاوى، فكيف لا تكون دعاويه دعاوى.

إلهى:كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وأنت الآمر، ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى إليك، كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك.

أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك.

إلهى:عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً.

إلهى:هذا ذلى ظاهر بين يديك، وهذا حالى لا يخفى عليك، منك أطلب الوصول وبك أستدل عليك، فاهدنى بنورك إليك، وأقمنى بصدق العبودية بين يديك.

إلهى: علمنى من علمك المخزون، وصنى بسر اسمك المصون، وحققنى بحقائق أهل القرب، وسلك بى فى مسالك أهل الجذب، واغنى بتدبيرك عن تدبيرى، وباختيارك عن اختيارى، وأوقفنى على مراكز اضطرارى، وأخرجنى من ذل نفسى، وطهرنى من شكى وشركى قبل حلول رمسى، بك أستنصر فانصرنى، وعليك أتوكل فلا تكلنى، وإليك أسأل فلا تحرمنى، وفى فضلك أرغب فلا تخيبنى، ولجنابك أنتسب فلا تبعدنى، وببابك أقف فلا تطردنى.

إلهى:إن القضاء والقدر غلبنى، وإن الهوى بوثائق الشهوة أسرنى، فكن أنت الناصر لى حتى تنصرنى وتبصرنى، و أغننى بفضلك حتى استغنى بفضلك عن طلبى، أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك.

وأنت الذى أزلت الأغيار من أسرار أحبائك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذى هديتهم حتى استبانت المعالم، ماذا وجد من فقدك، وما الذى فقد من وجدك، ولقد خاب من رضى دونك بدلاً.

ولقد خسر من بغى دونك متحولاً، كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان، وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان، يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متعلقين، ويا من ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين، أنت الذاكر من قبل الذاكرين، وأنت البادى بالإحسان من قبل توجه العابدين، وأنت الجواد بالإعطاء من قبل طلب الطالبين، وأنت الوهاب لنا ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين، فاطلبنى برحمتك حتى أصل إليك، وأجذبنى بمنتك حتى أقبل عليك.

إلهى:إن رجائى لا ينقطع عنك وإن عصيتك، كما أن خوفى لا يزايلنى وإن أطعتك، قد دفعتنى العوالم إليك، وأوقفنى علمى بكرمك عليك فكيف أخيب وأنت أملى، أم كيف أهان وعليك متكلى.

كيف أستعز وفى الذلة أركزتنى، أم كيف لا أستعز وإليك قد نسبتنى، كيف لا أفتقر وأنت الذى فى الفقر أقمتنى، أم كيف أفتقر وأنت الذى بجودك أغنيتنى.

أنت الذى لا إله غيرك تعرفت لكل شئ فما جهلك شئ وأنت تعرفت لى فى كل شئ، فرأيتك ظاهراً فى كل شئ، فأنت الظاهر لكل شئ، يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيباً فى رحمانيته.

كما صارت العوالم غيباً فى عرشه، محقت الآثار بالآثار، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار.

يا من احتجب فى سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الأسرار، كيف تخفى وأنت الظاهر، أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر.

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى الطاهر الزكى، وعلى آله صلاة تحل بها العقد، وتفرج بها الكرب، ويزول بها الضرر، وتهون بها الأمور الصعاب، صلاة ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا يا رب العالمين.

فهرس